قضايا نظرية

الحزبُ والطبقة

تروتسكي
كليف
هلاس
هارمان





الحزب والطبقة

قضايا نظرية

تروتسكي - كليف
هلاس - هارمان

الحزب والطبقة

ترجمة

خالد عايد

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

تقـــديم

اهمية هذا الكتاب تكمن في ان مقالاته الاربعة تلقـــي مزيدا من الضوء حول مسألة هي من اهم المسائل التي تواجه الحركة الثورية العربية وتحتل المقام الاول فيالحوار الدائر، المتسع يوما بعد يوم ، في صفوف الثوريين العرب ؛ الا وهي مسألة التنظيم الثوري : علاقته بالطبقة ، بنيته الداخلية ، دوره التاريخي ، امكانية وكيفية بنائه ، الوعي والعفوية ... واكثر من ذلك ، فان هذه المقالات **تحاول**، بدرجات متفاوتة، الانطلاق في معالجة المسألة المطروحة بعيدا عـــن الوصفات الجاهزة والاحكام المسبقة المنزلة من آلهة الثورة والتنظيم ، ضمن اطار المنهج الماركسي ، النقدي الثوري .

تلك هي الزاوية التي ينظر منها الى قيمة هذا الكتاب ، دون الافتراض لحظة ان قيمته بالضرورة تتخطى ذلك نحو صوابية مجمل الافكار والآراء الواردة حول القضايا المختلفة

المتعلقة بالتنظيم ، ودون الافتراض لحظة ان الكتاب لا يشهد احيانا خروجا عن المنهج المذكور ، وتبريرا حيث يلزم التفسير ، واستنجادا بالصيغ حيث يكون مجال التحليل والابداع . حيث ان هذه الجماعة (الاشتراكيين الامميين) تبقى واحدة من الجماعات التروتسكية التي «يدعي كل منها وصلا بليلى» مع فارق انها في حين تدعي الوصل بتروتسكي الشاب وتتمنى اعدامه شيخا ، تدعي شقيقاتها الوصل بتروتسكي الشيخ وتتمنى لو انه ولد شيخا !

لن يفوتنا هنا التوقف عند كون الكثير من القضايا المطروحة ضمن الشكل الذي وردت فيه هذه المقالات ، هي قضايا نظرية عامة . هنا يكمن سر أهمية هذا الكتاب ، وهنا ايضا يكمن سر محدوديته. فمما لا شك فيه وجود أطروحات عامة تنطبق على التنظيم الثوري في بلدان مختلفة وحقب تاريخية مختلفة . ولكن الاكتفاء بهذا القدر من العموميات سيؤدي لا محالة الى وضع يسود فيه النسخ والتقليد الاعمى مكان استنباط وصياغة المقولات والاشكال التنظيمية انطلاقا مما تفرزه الممارسة الجماهيرية الثورية في وضع تاريخي محدد ، مما يؤدي الى التشبث بأشكال واطر عفا عليها الزمن وتجاوزتها الحركة الثورية ، بل واصبح وجودها عبئا على هذه الحركة وسلاسل تغل أيديها وأرجلها ، وتشل مبادراتها وابداعاتها في وجه قوى الثورة المضادة . والتاريخ يحكم .

وهكذا ، فانه بمقدار أهمية الحوار حول القضايا النظرية العامة المتصلة بالتنظيم (الامر الذي يسهم فيه هذا الكتاب) ، هي أهمية تخطي هذه العمومية باتجاه تحديد

الملامح الاساسية الخاصة بالتنظيم الثوري العربي (الامـر الذي ما زال يتخبط فيه الثوريون العرب ، وما زال هدفا اساسيا لعملهم النظري المبدع) . ان هذا التخطي رهن بقدرة الثوريين العرب ، عبر فهم واستلهام عميقين نقديين للنظرية الماركسية والتجارب الثورية الاممية، على اساس تحليل وفهم اوضاع الحركة الثورية العربية،موضوعيا وذاتيا،وتشخيص أزمتها، وعلى تمثل وصياغة ما فيها من حيوية وثورية وخلق وعلى استقصاء ونبذ كل ما هو ميت ومميت فيها .

خ٠ع٠

مقدمة الكتاب

ان مسألة الحزب الثوري هي احدى المسائل التي انطرحت على حركة الطبقة العاملة الثورية منذ أيامها الاولى. وقد تسبب التطور التاريخي الفعلي للاحزاب الشيوعية منذ العشرينات في كثير من التشويش ، وقلل في أعين البعض من قيمة اي تنظيم سياسي للطبقة العاملة بوصفه نخبويا ولا ديمقراطيا ، بالضرورة .

تقدم المقالات الثلاثة الاولى المنشورة هنا تبريرات قيام حزب ثوري ، وتكشف عن طبيعة هذا الحزب ، وكذلك عما يميزه عن اشكال التنظيم الاشتراكية الديمقراطية والستالينية . وقد تم الاعتراف بخطر تحول الحزب الثوري الى دكتاتورية على الطبقة العاملة والكشف عن الشروط اللازمة لمنع ذلك . ان مقال تروتسكي اللامع ، ولكن المجزأ ، يضيف انعكاسات اكثر حول هذا الموضوع المهم .

ان بناء الاحزاب الثورية للطبقة العاملة هو مرة اخرى ، المهمة الملحة التي تواجه اولئك الذين يتناولون بشكل جدّي مسألة تحقيق الاشتراكية . تعرض هذه المجموعة من المقالات كاسهام في النقاش الدائر وتأمل ان توضح القضايا المتعلقة والمهام التي تواجه الاشتراكيين الثوريين في السبعينات .

نحو حزب اشتراكي ثوري

دنكان هلاس

لقد عزلت احداث الاربعين سنة الاخيرة، بشكل واسع، التقاليد الاشتراكية الثورية عن الطبقات العاملة في الغرب. ان المشكلة الاولى هي اعادة تكاملها : يجب التنسيق بين النضالات المحلية والجزئية الكثيرة حول الاجور واحوال المعيشة والسكن والايجارات والتعليم والصحة .. الخ. وتوحيدها في حركة متماسكة متقدمة قائمة على اساس استراتيجية لتحويل المجتمع .

وبتعابير انسانية ، يجب خلق شريحة منظمة من الاف العاملين بأيديهم وبأدمغتهم تمد جذورها بثبات بين زملائهم العمال ، وذات وعي حاد لضرورة الاشتراكية ولطريق

تحقيقها ، او بالاحرى يجب اعادة خلقها ، لان مثل هـــذه الشريحة قد وجدت في العشرينات في بريطانيا وعالميا . ان تفككها ، في البدء بواسطة الستالينية ولاحقـا بواسطـــة التفاعلات المعقدة بين الستالينية والفاشيـة والاصلاحيـــة الجديدة ، قد اختزلت التقاليد الاشتراكيـة الاصيلـــة في البلدان الراسمالية المتقدمة الى حالة معتقد اضافي . واثناء بروزها ثانية من تلك الحالة ، تأخذ النقاشات القديمة حياة جديدة . وتغدو طبيعة التنظيم الاشتراكي ، مرة اخـرى ، مثار نقاش .

ان تنظيما من مناضلين اشتراكيين شيء ضروري ؛ ذلك يشكل أرضية مشتركة لليسار فيما عدا قلة من تطهريـــين فوضويين . ولكن ، اي نوع من التنظيم ؟ هنالك وجهة نظر، تنتشر واسعا بين الطلاب المحدثي الثورية والعمال الشباب، هي وجهة نظر التحرريين . وفي طبيعة الحالة فان هـــذا الاصطلاح ضبابي ويشمل عددا من الاتجاهات المتباينة . ان جوهر ما هو مشترك بينهم هو العداء للنشاط المركـــز والمنسق والشك العميق في اي شيء تشتم منه «القيادة» . ومن وجهة النظر هذه، فانه ليس من الضروري أو المستحسن اكثر من اتحاد فضفاض من المجموعـــات العاملـــة . ان الافتراضات الاساسية هنا هي ان التنظيمـات المركـــزة ستعاني حتما انحطاطا بيروقراطيا وأن النشاطات العفويـــة للشعب العامل هي الاساس الوحيد والكافي من اجل تحقيق الاشتراكية .

ان الدليل على الافتراض الاول هو ، على ما يظهر، دليل

مؤثر . فالاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الكلاسيكية في مطلع القرن العشرين تصلح مثالا للكتب المدرسية . كانت الاشتراكية الديمقراطية الالمانية هي التي أمدت روبرت ميشلز بالمادة التي اشتق منها «القانون الحديدي للأليغارشية» . وان الاحزاب الشيوعية ، التي تأسست في المقام الاول لتخليص العمال الواعين سياسيا من تأثير البيروقراطيات الاشتراكية الديمقراطية المحافظة ، قد اصبحت مع الوقت مبقرطة وسلطوية الى درجة لم تحدث سابقا في احزاب الطبقة العاملة . وأكثر من ذلك ، فان المنظمات الجماهيرية الاساسية ، النقابات ، قد غدت في كل مكان رديفا للتبقرط ، بغض النظر ظاهريا عن الصبغة السياسية لقياداتها .

من دليل كهذا ، توصل بعض التحرريين الى الاستنتاج بأن مفهوم الحزب والاشتراكية الثورية امران ينفي احدهما الآخر ، وهذا بالطبع هو الموقف الفوضوي ــ السنديكالي التقليدي . من المسلّم به في الغالب ان الحزب يستطيع ضمن ظروف ملائمة ان يتجنب السقوط في أحضان المؤسسة. وعلى أي حال فان حزبا كهذا، مبقرطا بالتعريف، يحتوي بالضرورة ضمن تركيبه جنين مجموعة حاكمة جديدة وسيخلق ، في حال نجاحه ، مجتمعا استغلاليا جديدا ، على حد قول اصحاب الاستنتاج . وتقدم الاحزاب الستالينية الحاكمة كدليل في هذا المجال .

ان قسما كبيرا من معقولية افكار من هذا النوع تأتي من طابعها المفرق في التجريد وبالتالي العام . وليس من العدل

أن نساويها «بالتقليد الحيواني الاعمى» الرائج كموضة في هذ الايام ولكن هناك بالتأكيد بعض التشابه في سحرها السيكولوجي . ان كتابا مثل **موريس واندريه** يتخلون عن المهمة الصعبة والمعقدة في تحليل مجتمعات فعلية وصراعات فعلية من أجل أن يشتقوا ، من طبيعة انسانية (او حيوانية) ثابتة مزعومة،«حتمية» هذا أو ذاك . وبنفس الطريقة ينتقل معظم التفكير التحرري من أفكار شديدة العمومية حول سيئات التنظيم الشكلي الى استنتاجات شديدة التحديد دون جهد يذكر لتفحص المجرى الفعلي للاحداث . وهكذا ينظر الى الستالينية كنتاج «حتمي» لتحيز لينين لصالح الحزب المركز . وتصبح بعض المفاهيم العامة ، بعض «الحقائق العامة» المفترضة التي يسهل امتلاكها خلال نصف ساعة ، البديل لاداة نظرية جدية . طالما ان العالم هو مكان في غاية التعقيد فانه لمن المطمئن كثيرا ان يكون في متناول المرء العناصر لحكمة اجتماعية آنية . ولكن هذا ، لسوء الحظ ، مضلل كثيرا أيضا .

ان المعادلة «التنظيم المركز يساوي البيروقراطية يساوي الانحطاط» هي طبعة دنيوية عن خرافة الخطيئة الاصلية ، وكنسختها الاصلية فانها تقود الى استنتاجات بالغة في رجعيتها . لان ما تتضمنه ، في الحقيقة ، هو ان الجماهير العاملة عاجزة عن التسيير الديمقراطي الجماعي لتنظيماتها نفسها . صحيح انه ثبتت صحة ذلك في حالات عديدة ، ولكن القول بأن ذلك صحيح بالضرورة ، وحتما ، يعني القول ان الاشتراكية مستحيلة لان الديمقراطية ،

بمعناها الحرفي ، مستحيلة .

ان هذا بالضبط هو الاستنتاج الــذي توصل اليـه المنظرون الاجتماعيون «المكيافيليون الجدد» في مطلع القرن، وهو ما ينغرس عميقا في علم الاجتماع الاكاديمي الحديث . انه يقع في جذور النظرية الديمقراطية الاشتراكية الحديثة، كما هي عليه . بالطبع ، لـن يطال هـــذا الاشتراكيـــين التحرريين . ان جوهر موقفهم هو رفض الكليشيه القـديم البالي بأنه يجب ان يكون هناك دائما نخبة وجماهير ، قـادة ومقودون، حاكمون ومحكومون ، على ان الاستنتاج المقابل متضمن في فهمهم للمسائل التنظيمية لسبب بسيط وهو ان التنظيمات الرسمية خاصة جوهرية لاي مجتمع مركب .

ان النقاش المفيد حول مشاكل التنظيم الاشتراكي هو ، في الواقع ، مستحيل اذا كان على مستـوى العموميـات . فالتنظيمات لا توجد في فراغ : أنها تتكون من بشر فعليين ضمن اوضاع تاريخية محددة يحاولون أن يحلوا مشاكـــل فعلية مع عدد محدود من الاختيارات مفتوحة أمامهم . عدم الاخذ الكافي لهذه الاعتبارات الواضحـة يعطل النقـاش . وهذا واضح بشكل خاص في النقاشات حـول أصـــول الستالينية .

ان القول بأن الستالينية هي وليدة البلشفيـة يشكـل معتقدا لغالبية التحرريين . وهو كذلك معتقـد الغالبيـــة الساحقة من الكتاب الاشتراكيين الديمقراطيين الليبراليين والمحافظين ، وبالطبع ، بالمعنى الرسمي النقـي حـــول أن البيرقراطية الستالينية نبعت من الحزب البلشفي ، فانه لا

جدال فيه . لكن هذا لا يأخذنا بعيدا جدا . فبنفس المنطق كان يسوع المسيح أبا لمحاكم التفتيش الاسبانية وكان ابراهام لنكولن أبا للامبريالية الامريكية ، ولكن احدا ، على ما نأمل ، لن يتخيل أن اقوالا من هذا النوع ستقود الى اي استنتاج مفيد. ان المسألة هي كيف ولماذا ظهرت الستالينية وأي دور، ان كان ثمة دور ، لعبته بنية الحزب البلشفي في العملية .

ان معالجة دانيال كوهين ـ بنديت للمسألة في كتابه «الشيوعية العتيقة» هي معالجة ذات دلالة. وهو يبدأ ليدلل على انه «بعيدا عن قيادة الثورة الروسية الى الامام ، فان البلاشفة كانوا مسؤولين عن لجم نضال الجماهير ما بين شباط وتشرين اول سنة ١٩١٧ ، ولاحقا عن تحويل الثورة الى ثورة مضادة بيروقراطية ــ وفي الحالتين بسبب طبيعة وبنية وايديولوجية الحزب بالذات» .

لا علاقة للنقطة الاولى في الموضوع المطروح هنا وستناقش لاحقا . اما الثانية فقد طُورت بواسطة مقتطفات اختيرت بعناية لتقيم الضغينة المحسوبة نحو لينين وتروتسكي . لقد ذُكر ، بحق ، ان لينين قد فضل سنة ١٩١٧ ادارة المشروعات من قبل لجان منتخبة من العمال وانه كان سنة ١٩١٨ وبقوة الى جانب ادارة رجل واحد ، وأن تروتسكي قد دعا سنة ١٩٢٠ الى عسكرة العمل وأن قمع انتفاضة كرونشطاط سنة ١٩٢١ كان نقطة تحول مهمة في العملية التي خسر فيها العمال الروس السلطة . ان ما هو مدهش حقا حول حساب كوهين ـ بنديت لهذه الاحداث

هو حذفه الكامل لاي اعتبار للظروف التي جرت فيها . ان الدمار الذي خلفته الحرب والحرب الاهلية ، وخراب الصناعة الروسية والتفكك الفعلي للطبقة العاملة الروسية ؛ كل هذه ، على ما يبدو ، ليس لها أي أثر على النتيجة . صحيح انه بشكل عابر ُسلّم بأن روسيا كانت بلدا متخلفا ومعزولا بسبب فشل الثورة الالمانية ولكنه يخبرنا أن «هذه العوامل العامة لا تستطيع ، بأي شكل من الاشكال، ان تفسر الانعطاف النوعي الذي سلكته الثورة» .

والآن فانه ُيفترض دائما ان هناك علاقة ما بين نوع ومستوى انتاج ضروريات الحياة وبين انواع التنظيمات الاجتماعية الممكنة في أية مرحلة . لا شك انه من المؤسف جدا ان الامر يجب ان يكون هكذا . والاّ لكان الجنس البشري قد قفز من العصر الحجري القديم الى الاشتراكية.

على اي حال ، اذا كان من المسلّم به ان أحد المقدمات للاشتراكية هو صناعة متطورة جدا مع انتاجية عالية للعمل فان بعض «العوامل العامة» ، التي كثيرا ما يهملها كوهين ـ بنديت بالصدفة ، تفترض أهمية معينة . ان روسيا ، وقت الثورة ، لم تكن مجرد بلد متخلف . وبمقاييس البلدان الراسمالية المتقدمة في تلك الفترة كانت ، بالفعل ، متخلفة جدا . كان ما زال ٨٠ بالمئة من مجموع سكانها يعملون بالزراعة . ان الرقم المقابل في بريطانيا كان ٥،٤ بالمئة من قوة العمل . لقد قدر الاقتصادي كولن كلارك الدخل الحقيقي للفرد محسوبا على اساس العاملين في روسيا سنة ١٩١٣ بمقدار ٣٠٦ وحدات بينما كان الرقم المقابل في

بريطانيا هو ١٠٧١ وحدة . وبناء على حسابات كلارك ، فان الرقم في بريطانيا سنة ١٦٨٨ بلغ ٣٨٠ وحدة وهو اعلى من ذلك الرقم في روسيا سنة ١٩١٣ . ان كل هذه التقديرات تحتوي دون شك امكانية كبيرة للخطأ ، ولكنه حتى فيما لو اجريت التخفيضات القصوى لها فان توقعات انتقال فوري الى مجتمع يختفي فيه القمع في روسيا مطلع القرنالعشرين كانت بالفعل ضئيلة جدا . حقا ، ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، فان التراث الثقافي هو ايضا مهم . ولقد كان التراث الثقافي لروسيا هو البربرية القيصرية . ولم يكن من المدهش انه ما مناتجاه فيما قبل الحركة الماركسية الروسية الثورية قد اعتقد ان الاشتراكية كانت على جدول الاعمال لروسيا المعزولة،مع ان هذا الوهم قد داعب فعلا النارودنيك (الشعبيين) .

ومع ذلك مثّل المستوى الاقتصادي لسنة ١٩١٣ ، على الرغم من بؤسه ، وفرة بالمقارنة مع ما كان سيأتي . لقد حطمت الحرب والثورة والحرب الاهلية والتدخل الاجنبي جهاز الانتاج . مع حلول ايار ١٩١٩ كانت الصناعة الروسية قد تقلصت الى ١٠ بالمئة ★ من مؤونة وقودها الطبيعية ومع نهاية تلك السنة كان ٧٩ بالمئة من طول خط السكة الحديدية الاجمالي قد تعطل . وكان هذا في بلد شاسع حيث لم يكن

★ هذا الرقم والارقام التي تتبعه مأخوذة من كتاب إ.هـ. كار الثورة البلشفية المجلد ٣ .

النقل بالسيارات موجودا عمليا . ومع نهاية سنة ١٩٢٠ انخفض انتاج كل البضائع المصنعة الى ٩ و١٢ بالمئة عن مستوى سنة ١٩١٣ .

لقد كان أثر ذلك على الطبقة العاملة بمثابة الكارثة . انخفض عدد العمال في بتروغراد مع كانون اول ١٩١٨ الى نصف المستوى الذي كان عليه قبل عامين . ومع كانون اول ١٩٢٠ كانت المدينة قد خسرت ٥٧،٥ بالمئة من اجمالي سكانها . وفي نفس السنوات الثلاث خسرت موسكو ٤٤،٥ بالمئة .

كان عدد العمال الصناعيين بالمعنى الدقيق أكثر من ثلاثة ملايين سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩٢٠ كان قد انخفض الى مليون وربع . كانت الطبقة العاملة الروسية تهرب الى الريف تجنبا لمجاعة حقيقية . ويا له من ريف ! الحرب ، القحط ، التيفوس ، التجنيد الاجباري من قبل الحمر والبيض على حد سواء ، اختفاء حتى البضائع المصنعة مثل الثقاب والبرافين والخيوط ــ هكذا كان واقع روسيا سنة ١٩٢٠ ــ ٢١ . وتبعا لما يقوله تروتسكي فقد سُجِّلت حوادث أكل لحوم بشرية في مقاطعات متعددة .

في الظروف اليائسة هذه ، جاء الحزب البلشفي ليُحل حكمه الخاص محل حكم الطبقة العاملة المنهوكة والمقروضة التي كانت نفسها جزءا صغيرا من السكان ، وفي داخل الحزب حال الجهاز النامي باستمرار دون رقابة الاعضاء . كل هذا لا جدال فيه ، ولكنه يبدو من المعقول الافتراض ان الظروف الفعلية كان لها من التأثير على هذه التطورات أكثر مما كان

«لطبيعة وبنية وايديولوجية الحزب ذاتها» . وللحقيقة فان نظام الحزب في تلك الفترة كان ليبراليا لدرجة مدهشة .

ان التلخيص الاكثر توازنا للمسألة هو تلخيص فيكتور سيرج ، الشيوعي ذي الميول التحررية القوية وشاهد العيان والمشارك في الثورة : غالبا ما يقال «ان جرثومة الستالينية كاملة كانت في البلشفية منذ بدايتها» ، حسنا ، ليس لدي أي اعتراض . ولكن البلشفية احتوت ايضا جراثيم أخرى كثيرة ـ كتلة من جراثيم اخرى ـ يجب أن لا ينساها أولئك الذين عاشوا خلال حماس السنين الاولى للثورة المنتصرة الاولى . هل من المعقول أن يقيّم الرجل الحي بالجرثومة الميتة التي يكشف عنها التشريح في جثة ـ والتي يمكن أن يكون قد حملها منذ ولادته . انطلاقا من تخلف روسيا ، فان مسألة اي الجراثيم انتعشت وأيها ركدت وأي من النتائج الممكنة المتعددة قد تحقق بالفعل تعتمد في المقام الاول على الوضع العالمي .

لقد تمت سيطرة البلاشفة على السلطة في سياق ثورة أوروبية ، وأثبتت الحركات الثورية قدرتها على الاطاحة بالقيصر الالماني والامبراطور النمساوي والسلطان التركي وكذلك القيصر الروسي ، وأثبتت قدرتها على منع تدخل أجنبي كبير ومدعّم بما فيه الكفاية للاطاحة بنظام السوفيات، ساعدها على ذلك بالطبع التناقضات بين القوى الكبرى المتبقية . ولكنها أجهضت أو سحقت قبل التوصل الى الانتقال الحرج : اقامة سلطة الطبقة العاملة في واحد أو اثنين من البلدان المتقدمة . واذا نظرنا الى الوراء فانه يبدو

ان فشل الثورة الالمانية سنة ١٩١٨ ـ ١٩ في تخطي مرحلة الجمهورية الرأسمالية ـ الديمقراطية كان أمرا حاسما ، لقد مهرت هزيمة السبارتاكيين مصير حكم الطبقة العاملة في روسيا لانه فقط من خلال مساعدة اقتصادية كبيرة من اقتصاد متقدم ، عمليا من المانيا اشتراكية ، كان يمكن عكس عملية تفكك الطبقة العاملة الروسية .

ان النتاج الفعلي (تحوّل ما سمّاه لينين سنة ١٩٢١ دولة عمال وفلاحين مشوهة بيروقراطيا، الى رأسمالية دولة توتاليتارية) كان نفسه معقدا ومطوّلا . ان النقطة ذات العلاقة بهذا النقاش هي ان جزءا اساسيا من تلك العملية كان تحطيم كل الاجنحة والاتجاهات في الحزب البلشفي . لم تكتف الثورة المضادة بتصفية المعارضات المختلفة لليسار واليمين . ما أقل ما كان الحزب ملائما كأداة «لتحويل الثورة الى ثورة مضادة بيروقراطية» حتى انه كان يجب استئصال معظم الكادرات الستالينية الاصلية قبل ان تتمكن الطبقة الحاكمة الجديدة من تثبيت موقعها .

مع سنة ١٩٣٤ ، سنة المؤتمر السابع عشر للحزب ، كانت كل المعارضة المكشوفة في الحزب قد قمعت منذ زمن . وكشف النقاب عن مصير المندوبين الى ذلك المؤتمر ، الستالينيين حتى آخر رجل منهم ، من قبل خروتشوف سنة ١٩٥٦ . «من مجموع الـ ١٩٦٦ مندوبا اعتقل ١١٠٨ .... من مجموع الـ ١٣٩ عضوا ومرشحا للجنة الحزب المركزية المنتخبة في المؤتمر اعتقل وأعدم ٩٨ أي ٧٠ بالمئة» . وباختصار ، فان الغالبية الساحقة من الذين كانت لهم

جذور في الماضي البلشفي (انضم ٨٠ بالمئة من مندوبي المؤتمر السابع عشر فيما قبل سنة ١٩٢١) قد صفوا واستبدلوا بطاقم جديد «غير ملوث» حتى بأكثر الروابط هشاشة مع حركة الطبقة العاملة .

ان هذه الوقائع ، التي كان لها مثل هذه النتائج العميقة والمعمرة ، هي حقائق بمستوى من الاهمية مختلف تماما عن ثغرات الممارسة التنظيمية البلشفية ، الحقيقية منها أو المزعومة . ان افتراض غير ذلك يعني تفسير الوقائع كما نشتهي وبشكل متطرف ، وهي الصفة التي يشترك فيها تحرريون كثر مع الماديين .

لا يستنتج من ذلك أن الكلمة الاخيرة في الحكمة التنظيمية لا توجد الا في النموذج البلشفي . ففي الظروف المختلفة كثيرا لراسمالية نهاية القرن العشرين ، فان النقاشات مع أو ضد موقف لينين ١٩٠٣ لا يمكن اعتبارها صحيحة أو خاطئة لانها لا علاقة لها بالموضوع . ان «الحزبية الطليعية»لبعض الشيع التروتسكية والماوية هي الوجه الآخر للعملة التحررية ، وكلاهما قائم على اساس نظرة للواقع بالغة التجريد ومضللة .

ان ما يدخل ضمن الحوار هنا هو ، جزئيا ، فائدة المقارنة . انه لمن الواضح ان أي حزب اشتراكي ثوري مهم هو بالضرورة ، وبمعنى من المعاني ، «طليعة» . ولكن ليس هناك من اساس في المناقشة لان يكون المفهوم نخبويا . ان جوهر النخبوية هو في التأكيد على أن الاختلافات الملحوظة في الامكانات والوعي والخبرة تنبع من ظروف اجتماعية

ووراثية لا تتغير وأن جمهرة الناس غير قادرة على الحكم الذاتي : لا الآن ولا في المستقبل . ويتضمن رفض الموقف النخبوي أن الاختلافات الملحوظة يمكن عزوها ، كليا او جزئيا ، الى اسباب يمكن تغييرها . الا انه لا يعني انكار الاختلافات ذاتها .

ان الاعتراض الحقيقي على التأكيد على«الحزب الطليعي» هو انه غالبا ما يكون(أي التأكيد) جزءا من نظرة عالمية مبتذلة توجه الانتباه بعيدا عن المشاكل الحالية وتقود ، في حالات قصوى ، الى وعي زائف ممنهج ، الى ايديولوجية بالمعنى الماركسياني الدقيق للكلمة .

ان الطليعة تعني جسما رئيسيا يتجه تقريبا في نفس الاتجاه ومشبعا بنوع من النظرة المشتركة والطموح الواحد .

وعلى سبيل المثال ، عندما وصف تروتسكي الحزب الشيوعي الالماني في العشرينات وبواكير الثلاثينات كطليعة الطبقة العاملة الالمانية فان الوصف كان ملائما . ليس فقط أن الحزب نفسه ضم ، بين أعضائه البالغ عددهم حوالي ربع مليون ، اكثر العمال الالمان تنوّرا وحيوية وثقة بالنفس ؛ لقد عمل ضمن طبقة عاملة استوعبت ، بغالبيتها الساحقة ، بعض العناصر الاساسية للفكر الماركسي وكانت تواجه ، خاصة بعد ١٩٢٩ ، أزمة اجتماعية متفاقمة لم يكن يمكن حلها ضمن اطار جمهورية **فايمر** .

في تلك الظروف ، كانت اعمال الحزب ذات أهمية حاسمة ، وقد أثر ما حققه ، وما فشل في تحقيقه ، على كل المجرى اللاحق للتاريخ الاوروبي والعالمي . وكانت السجالات

الحادة حول تفاصيل التكتيك والتاريخ والنظرية والتي كانت النتاج الراسخ للمجموعات الشيوعية المعارضة في تلك الفترة ، مبررة تماما وضرورية . وفي هذه الظروف المعطاة كانت الطليعة حاسمة . وحسب مقارنة تروتسكي الرائعة، يستطيع ايصال النقاط أن يغير اتجاه كل القطار الثقيل لحركة العمال الالمانية .

اما اليوم فان الظروف مختلفة تماما . ليس هناك من قطار . يوجد جيل جديد من عمال قادرين وحيويين ولكنهم لم يعودوا جزءا من حركة متماسكة ولم يعودوا يعملون في وسط حيث الافكار الماركسية واسعة الانتشار . لقد رجعنا الى نقطة البدء . ليس فقط أن الطليعة ، بالمعنى الحقيقي لشريحة مهمة منعمال ومثقفين ثوريين منظمين، قد دُمِّرت، بل كذلك فان البيئة ، التقاليد ، قد فقدت تأثيرها . لم تكن قط تلك التقاليد في بريطانيا على درجة من الكثافة والتأثير كما كانت في المانيا أو فرنسا ولكنها كانت حقيقية بما فيه الكفاية في السنوات الاولى للحزب الشيوعي .

ان صلب المسألة هو في كيفية تطوير العملية ، التي بدأت ، لاعادة خلقها . قد يكون صحيحا ان خلق جنرالات هو أصعب من خلق جيش ، كما يقول غراشي . وانه من الصحيح بالتأكيد ان جنرالات بدون جيش هم عديمو النفع كليا ، حتى لو افترضنا انه **يمكن** خلقهم في فراغ . وفي الواقع فان «الطليعية» في اشكالها المتطرفة هي نقيض مثالي للماركسية يقود الى نظرة اخلاقية للصراع الطبقي : يرى العمال كأناس يشدون المقود ومستعدين دائما ومتعطشين

للقتال ولكنهم يخانون دائما من قبل قادة رجعيين وفاسدين واشرار ، وعلى الاخص قادة «اليسار» الذين تخفي تعابيرهم الراديكالية تصميما ثابتا على بيع القضية في أول فرصة سانحة .

بالطبع ، ان مثل هذه الاشياء تحدث بالتأكيد . ان الفساد بمعناه الحرفي ليس مجهولا في الحركة العمالية البريطانية وهو بكل تعبيراته الاكثر دهاء واسع الانتشار . ولكنها نظرة أحادية الجانب بشكل مضحك ان نفترض على سبيل المثال انه يمكن تفسير تاريخ بريطانيا منذ الحرب بتعابير «الخيانات»، وانه لمن الغباء أن كل ما هو ضروري هو «بناء قيادة جديدة» حول هذه الشيعة أو تلك ومن ثم نعرضها كبديل من أجل العمال المنتظرين .

ان الحقيقة أكثر تعقيدا بكثير . ان عناصر قيادة للطبقة العاملة موجودة الآن . ان الطليعيين والمناضلين الذين ينشطون يوميا وفعلا على الطبيعة حيث العمال ومنظمات الطبقة العاملة ، هم القيادة ، بتعابير عملية . ان يكونوا ، كما يحصل وبشكل اكثر أو أقل ، تحت تأثير أفكار اصلاحية او ستالينية او حتى أفكار أكثر رجعية ، لا يفسّر بتعابير الخيانة . ان ذلك يفسر بتعابير تجربتهم الخاصة وغياب اتجاه اشتراكي يبدو معقولا وواقعيا .

ان النقطة الاولى مهمة. لقد كانت السياسات الاصلاحية ناجحة في الاقتصاديات المتقدمة خلال العشرين سنة الاخيرة ونيّف ، ليس دائما وللكل ، ولكن لعدد كاف ووقت كاف

لخلق معتقد واسع الانتشار في الاصلاحية كحل قادر على الحياة .

مع تغير الظروف تكتسب النقطة الثانية أهمية متزايدة، ويمكن للتأكيد الاضافي على مفهوم الطليعة أن يصبح حاجزا حقيقيا أمام عملية اندماج التقاليد والمناضلين .

ان أحد الاوجه السلبية لظاهرة القيادة ـ الخيانة هو الافتراض بأن الاجوبة لكل الاسئلة يمكن معرفتها مقدما ، وأنها متضمنة في برنامج قاطع ونهائي ، وأن الحفاظ على نقاء البرنامج هو أحد المهام الرئيسية للقلة المختارة . أنه قد تبرز مسائل جديدة تتطلب أجوبة جديدة، وانه من الضروري ان يتعلم الفرد من زملائه العمال كما يعلمهم ؛ هذه أفكار لا يرحب بها . ومع ذلك فانها اساسية ، اذ أنه لا يُقرّ بالعلم المطلق للتنظيمات اكثر مما يقر به للافراد . وان كمية معينة من التواضع والمرونة واليقظة والتحديدات هي أمر ضروري.

يبدو أن ليس من الممكن لبرنامج كتب ، لنقل سنة ١٩٣٨ ، أن يحتوي الحل الكامل لمسائل السبعينات. صحيح انه خلال عملية اعادة خلق حركة اشتراكية مهمة فان كثيرا من المفاهيم القديمة يجب تعديلها . ان للافكار ، وعلى الاقل الافكار المفيدة ، نوعا من العلاقة مع الحقائق وانه لمن السخف ان العالم الذي نعمل فيه يتغير بسرعة فائقة .

وللحقيقة فان تطور برنامج، بمعنى بيان مفصل للاهداف والتكتيكات الجزئية والانتقالية في كل الحقول المهمة ، لا يمكن عزله عن تطور الحركة نفسها . ان ذلك يتطلب مشاركة عدد كبير من الناس المنخرطين بأنفسهم بنشاط في تلك

الحقول . ان مهمة الاشتراكيين هي ربط نظريتهم وأهدافهم بمشاكل وتجارب المناضلين بحيث يتوصلون الى تركيب يكون بمثابة دليل عملي للممارسة وحافز لمزيد من التقدم في آن واحد . ان تركيبا كهذا يكتسب معناه الى المدى الذي يوجه فيه فعلا نشاطات المشاركين ، ويعدّل في ضوء الممارسة والتغير الحاصل في الظروف بسبب البرنامج ذاته . هذا هو المعنى الحقيقي «للنضال من أجل برنامج» غالبا ما يحول الى تميمة .

ان اعتبارات مشابهة تنطبق على الامية . فالاممية ، وهي الاعتراف بالمصالح المشتركة الطويلة المدى للعمال في كل مكان وأفضلية هذه المصالح على كل الاعتبارات القومية والفئوية ، هي شيء اساسي في الاشتراكية . واليوم ، ومع الثقل والتأثير المتزايد للمشاريع العالمية الكبرى ، فان هذا يظهر بوضوح اكثر من اي وقت مضى . لا يمكن وجود تنظيم اشتراكي قومي صرف. وانها لواحدة من حسنات التجمعات التروتسكية تأكيدها باستمرار على هذه الحقيقة الاساسية.

ومع ذلك فان الاستنتاج الذي يتوصل اليه غالبا : «على المرء أن يبدأ بالاممية» هو مثال آخر عن الاثر المشوّه للمبالغة في التركيز على «القيادة». ان «الاممية» التي لا تشكل اكثر من تجمع لشيع في بلدان مختلفة هي خرافة . وانها لخرافة مضرة ، لانها ، كما أثبتت التجربة ، تؤدي الى أوهام العظمة وبالتالي الى التهرب من المشاكل الحقيقية . ان الوضع المضحك حيث يوجد ليس أقل من ثلاثة جهات ، وكل منها يدعي انه هو الاممية الرابعة ويتبادل اللعنات مع الاخرى كما

كان حال بابوات القرون الوسطى المتنافسين ، هـــو دليل كاف على فساد ما ـ فوق ـ الطليعية في الحقل الاممي .

انه من الضروري لتطوير تيار حقيقي اللامية ـ وبدون مثل هذا التيار يكون كل كلام عن الاممية خـداع للنفس ـ البدء بربط النضالات المحسوسة لعمال بلدها مع نضـالات عمال البلدان الاخرى : عمال فورد في بريطانيا والمانيا عـلى سبيل المثال ، عمال الموانيء في لندن وروتردام وهكذا . ان هذا يعني البدء حيث يوجد مثل هؤلاء العمال فعلا،وتحديدا في البلدان المختلفة ويعني ايضا طرح الافكار الفخيمة، حول «القيادة الامية» و «المؤتمرات العالمية» وما شابه ، جانبـا لصالح المهام المضنية للدعاية والتحريض في بلد المرء نفسه جنبا الى جنب مع تطوير روابط أممية تكتسب معنى لـدى العمال المتقدمين خارج الوسط التشيعـي ، مهمـا كانت محدودة في البدء .

ان اللقاءات والحوار بين مجموعات اشتراكية من بلدان مختلفة أمر ضروري وكذلك النقاش النظري ، ولكن فـوق كل ذلك فان خلق روابط حقيقية بين مجموعات من العمال امر ضروري . فقط بعد أن يكون هذا قد تحقق الى درجـة معقولة فان المقدمات لاعادة خلق الامية تكون قد تحققت . وفي الظروف الحاضرة فان المقارنة مع ماركس والامميـة الاولى هي ، بشكل ما ، اوثق علاقة بالموضوع من المقارنة مع لينين والامية الثالثة . ولكن حتى هذه فلا يمكنها أن تقدم نسخة يمكن الاقتداء بها ميكانيكيا .

وبالطبع ، فانه بعد ازالة الشوائب يبقى قسط مهم من

الحقيقة في مقارنة «الطليعة» يكمن في الاعتراف بالتفاوت الحاد في وعي الطبقة العاملة وثقتها وخبرتها ونشاطها . أن جزءا ضئيلا ومتغيرا باستمرار من الطبقة العاملة ينخرط فعليا ، بدرجة أو بأخرى في نشاطات **المنظمات الجماهيرية** الموجودة وينخرط جزء اكبر موسميا ، بينما لا تجر ّ الغالبية الساحقة الى النشاط الا في **ظروف استثنائية . وفضلا** عن ذلك فانه حين تنخرط جماهير غفيرة من العمال في التحركات ، في الاضرابات أو نضالات الايجارات .. الخ فان هذه التحركات عادة فئوية ومحدودة الاهداف. ان الاستثناء الرئيسي الوحيد الذي يقع بانتظام الى حد ما ، (وهو عملية تصويت لحزب يرى ، بمعنى ما ، كحزب العامل) يتخذ ذاته طابعا متزايد الشعائرية ، وحتى على **هذا المستوى فانه يجب** تذكّر انه في كل الانتخابات منذ الحرب كان حوالي ثلث الطبقة العاملة يصوت للمحافظين .

يعتبر احيانا ذكر هذه الحقائق المألوفة خيانة او فرية ضد الطبقة العاملة . ومع ذلك فانه مجرد تبيان ، ليس فقط لما يوجد ، بل ايضا لما يجب ان يوجد في مجتمع طبقي رأسمالي في شكله«الديمقراطي»لكي يبقى على **قيد الوجود.** **عندما يعمل عدد كبير من الناس فعلا وبشكل مباشر وجماعي** ومستمر من أجل تغيير ظروفهم فانهم لا يغير ّون أنفسهم فقط ؛ انهم يلغمون الاساس الكامل للرأسمالية . ان أهمية الحزب ، في المقام الاول ، هي في مقدرته على اعطاء الطليعة الحقيقية (الاقلية الاكثر تقدما ووعيا من العمال وليس شيعا من قادة أدعياء) ، الثقة والتماسك الضروري لحمل الجمهور

معهم . وعليه فانه لا يمكن الكلام عن حزب لا يحتوي على هذه الاقلية كأحد مكوناته الرئيسية .

يجب النظر الى مسألة اللامبالاة ضمن هذا السياق. ان جوهر اللامبالاة ، كما أشير اليه غالبا ، هو الشعور بالعجز، بعدم المقدرة على تغيير مجرى الاحداث الا بطريقة هامشية ، ان أمكن ذلك. يرتبط نمو اللامبالاة (التزايد في«الخصوصية» وفي ادارة الظهر للعالم) بشكل طبيعي ووثيق مع انحطاط قدرة السياسات الاصلاحية على التأثير كلما نمت بثبات مقدرة المواثيق الرأسمالية العالمية على محو التحديدات «القومية» . هذا هو السبب في انه يمكن تحويل اللامبالاة بسرعة الى عكسها اذا عرض بديل معقول .

يجب ان يكون ذلك البديل اكثر من مجرد تجمع لافراد يمتلكون التزاما عاما ببرنامج . ويجب ان يكون ايضا مركزا للتدريب والحوار المتبادل ولرفع مستوى المناضل الخام الى مستوى المجرّب ولمزج تجارب ووجهات نظر العمال اليدويين وذوي الياقات البيضاء والمثقفين مع أفكار الاشتراكية العلمية . يجب ان يكون بديلا لتلك المؤسسات كالمدارس الخاصة والجامعات والنوادي والمآدب وغيرها من المؤسسات التي من خلالها تشرّب الطبقة الحاكمة كوادرها بنظرة وتقاليد وولاء مشترك . ويجب ان يقوم بهذا دون أن يفصل مناضليه عن زملائهم العمال .

ان تلك المسألة الباهتة التي تطرح عمدا لحرف الانتباه عن المسائل الحقيقية ألا وهي مسألة ما اذا كان الوعي الاشتراكي يأتي «عفويا» من داخل العمال أو يفرضه المثقفون

من «الخارج») ليس لها من صلة على الاطلاق بالظـــروف الحديثة . انها بالتحديد لا مسألة لانها تفترض وجود نوع من نظرة عالمية مستقلة للطبقة العاملة يمكن حقنها بشيء مــا . يمكن التشكيك فيما اذا كانت نظرة الطبقة العاملة المتجانسة نسبيا ، كما توصف بتحبب زائد من قبل كتــــاب مثـــل هوجارت ، مستقلة بهذا الشكل المفترض غالبا . وعلى أي حال فانها ميتة ، قتلتها الظروف الاجتماعية المتغيرة وفـوق هذا كله ، قتلها الوسط الجماهيري . انــه لمـــن السخف النقاش حول ما اذا كان على المرء ان يأتي بأفكار من«الخارج» لعمال يمتلكون أجهزة تلفزيون. وبكل تأكيد فان معظم العمال وخاصة النشطون منهم يرون الاشياء على نحو مختلف عمــا يراه دخلاء حزام سماسرة البورصة. ان تجربة حياتهم كاملة تؤكد هذا . ولكن العمال ليسوا آلات ذاتية الحركة لا تتفاعل مع البيئة . على كل فرد ان يمتلك تصــورا معينــا للعالم ، نوعا من الاطار ـ المرجع تدخل فيه المعلومات ، وأن يمتلك بعض الافتراضات حول المجتمع . ان كل الجهــاز المعقـــد للاتصالات الجماهيرية والمؤسسات التعليمية وغيرها عليها ، كأحد مهامها السياسية ، مهمة ما يسميه علماء الاجتمــاع بـ «التأهيل الاجتماعي» وما سماه اعضاء جمعية «العمال الصناعيين في العالم» القديمـــة بتثبيت الـــرأس . ان الافتراضات المرضية للطبقة الحاكمة هي الوجبة اليومية لكل واحد فينا . يستطيع الافراد ، سواء أكانوا سائقي باصات أم محاضرين في علم الجمال ، ان يقاوموا عملية التكيف الى درجة معينة . لا تستطيع الا جماعة ان تطور وجهة نظـــر

عالمية بديلة منهجية ، وأن تتغلب ، الى درجة ما ، على اغتراب العمل اليدوي والذهني الذي يفرض على كل واحد، على العمال والمثقفين سواء ، نظرة جزئية ومبعثرة للواقع . ان ما تسميه روزا لكسمبورغ «اندماج العلم والعمال» لا يمكن التفكير فيه خارج حزب ثوري .

لا يمكن بناء مثل هذا الحزب الا على أسس ديمقراطية كاملة . وما لم تكن القاعدة ، في حياته الداخلية ، هي الصراع المحتدم وما لم تمثل الاتجاهات وتلاوين وجهات النظر المختلفة ، فان الحزب الاشتراكي لن يستطيع الارتفاع عن مستوى شيعة . ليست الديمقراطية الداخلية اضافة اختيارية ، فهي أساسية من اجل العلاقة بين أعضاء الحزب وأولئك الذين يعملون بينهم .

لقد أوضح اسحق دويتشر هذه النقطة جيدا في مناقشته للاحزاب الشيوعية في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات . «عندما يخرج شيوعي أوروبي ليناقش مسألته امام جمهور من الطبقة العاملة فانه يقابل هناك عادة خصما اشتراكيا ديمقراطيا ، عليه أن يدحض مناقشاته وأن يواجه شعاراته . وكان في أغلب الاحيان يعجز عن ذلك لانه تنقصه عادات الحوار السياسي التي لم تُنمّ داخل الحزب ، ولان تعليمه المدرسي حرمه من امكانية وعظ غير المؤمنين . انه لا يستطيع أن يسبر بما فيه الكفاية مسألة خصومه عندما يكون عليه ان يفكر طيلة الوقت بأرثوذكسية هو ... انه يستطيع ان يطرح بعصبوية ميكانيكية مجموعة موصوفة من النقاشات والشعارات ... وعندما يطلب منه ، كما يحصل

عادة ، ان يجيب على نقد الاتحاد السوفيتي فانه نادرا ما يستطيع ذلك بطريقة مقنعة ، ان صلوات شكره لوطن العمال الام وتسبيحاته لستالين قد غمرته بالسخف في اعين اي جمهور سليم العقل . ان عدم فعالية التحريض الستاليني هذه كانت أحد الاسباب الرئيسية في انه خلال سنين طويلة ، وحتى في اكثر الظروف ملائمة ، فشل التحريض او كاد في مواجهة الاصلاحية الاشتراكية» . سيقفز الى الذهن مقارنات من أيامنا الحاضرة .

ان التثقيف الذاتي للمناضلين مستحيل في مناخ الارثوذكسية المعقمة . ان الاعتماد على الذات وثقة الفرد بآرائه تنميان من خلال ذلك الحوار الاصيل الذي يجري في مناخ حيث تناقش الاختلافات بحرية وبشكل مكشوف . أما «الحزب المنوليثي» ★ فهو مفهوم ستاليني . ان التماثل والديمقراطية لا يمكن أن يتعايشا معا .

لا يمكن للحزب بالطبع أن يكون جامعا حيث تتمثل أي ، وكل ، وجهة نظر يمكن تخيلها . تحدد حدود العضوية بالتزام جدي بالهدف النهائي : السيطرة الجماعية الديمقراطية للطبقة العاملة على الصناعة والمجتمع . وضمن هذه الحدود فان عديدا من وجهات النظر حول مسائل الاستراتيجية والتكتيك أمر ضروري وليس منه مفر في

★ المنوليثي صفة للحزب بالمفهوم الستاليني حيث تشترط الوحدة والتراص والانسجام والتجانس ...

تنظيم ديمقراطي . ان اصطياد الهرطقة الذي يميز بعض الشيع هو هزيمة للذات ؛ اذ ان مناخا من العصبوية شبه الدينية لا يمكن ان يتفق واعادة تكامل التقاليد الاشتراكية مع شريحة عريضة من العمال .

ان الانضباط الذي هو ضروري في أي تنظيم جدي يمكن ان يظهر بطريقة أو اثنتين . فهو قد يظهر من نظام لانسجام زائف من الفرمانات والوصفات ، نظام معيق للانتاج في مجموعة اشتراكية أو انه قد يظهر من ولاء وتقاليد مشتركة قائمة على اساس عمل مشترك وتعليم متبادل وعلاقة واقعية ومسؤولة مع النشاطات العفوية للعمال .

ان العفوية حقيقة . ولكنها ماذا تعني ؟ ببساطة ان مجموعات من العمال غير النشطين مع أي تنظيم سياسي أو حتى نقابي تتحرك لحسابها الخاص أو دعما لآخرين . من وجهة نظر التنظيمات فان العمل «عفوي» ، اما من وجهة نظر العمال ذوي العلاقة فانه واع ومتعمد . تحدث مثل هذه النشاطات باستمرار وهي تعكس الطموحات للحكم الذاتي المنتشرة واسعا حتى في أوساط العمال المشار اليهم عادة «بالمتخلفين» . انها تعبير جوهري عن الصراع الطبقي، وبدونها سيعلّق المناضلون الواعون في فراغ . وباستعمال المقابلة المبتذلة ولكن المفيدة : انها الجدول الذي يدفع مكابس تنظيم الطبقة العاملة .

ان المكابس بدون محرك عديمة النفع . والجدول الذي لا يسير في قناة ليس له الا أثر محدود . ان العفوية والتنظيم ليسا بديلين لبعضهما البعض ، انهما أوجه مختلفة

للعملية التي بواسطتها تستطيع اعداد متزايدة من العمال أن تعي حقيقة وضعها ومقدرتها على تغييره . ويعتمد نمو هذه العملية على حوار وعلى مناضلين منظمين يستمعون بمقدار ما يتكلمون ، ويفهمون حدود الحزب بمقدار ما يفهمون نقاط قوته، والقادرين على ايجاد صلات بين الوعي الفعلي لزملائهم والسياسة الضرورية لتحقيق الطموحات الدفينة في ذلك الوعـــي .

يحدث احيانا انه حتى أفضل المناضلين يجدون انفسهم وقد داهمتهم الاحداث ويحتلون موقعا ، لفتـــرة تقصر أو تطول ، الى يمين العمال غير الطليعيين في السابق . ان هذه التجربة مألوفة لدى مجموع النقابيـــين النشطـــين . ان الشعارات والمطالب التي لم تكن مقبولة بالامس الا من اكثر الناس وعيا يمكن أن تصبح دون تطلعات الاكثرية عندمـــا يتطور الصراع الى ما بعد النقطة المتوقعة . ولا مفر مـــن أن المعرفة والتجربة الوفيرة للطليعيين تجذب محذورا معينا ، مع أنه مناسب عادة ، الا أنه يمكن أن ينقلب احيانا ، في ظل ظروف تتغير بسرعة ، الى حاجز حقيقي أمام التقـــدم . ان نفس الاتجاه حتمي الحدوث مع التنظيم . هذا هو العنصر الصالح في نقد كوهين ـــ بنديت للاحزاب الاشتراكية .

ان الخطر كامن بالفطرة في طبيعة البيئة . اذ لا يمكن دائما ، او حتى عادة ، توقع التغيرات المفاجئة في وعي هذه المجموعة أو تلك . ان ما يمكن توقعه هو الحاجـــة الـــى الحساسية لكشفها بسرعة والمرونة للتصرف بشكل ملائم .

لا يشكل وجود مثل هذه التغيرات العفوية في المزاج،

والاضطرابات غير المتوقعة ولا الاتجاه الغالب نحو الحذر بين شريحة الاشتراكيين الملتزمين والمجربين نقطة في النقاش ضد الحزب . على العكس من ذلك ، فانه مع وجود تفاوت في الوعي وتقسيمات جغرافية وصناعية للطبقة العاملة فان الحزب ، وفي الواقع الحزب المركز ، ضروري لاعطاء التحركات المختلفة للمجموعات المختلفة ذلك التماسك والتنسيق اللذين بدونهما سيصبح أثرها محصورا في نجاحات محلية وفئوية .

انها نقطة نقاش ضد ذلك الكاريكاتور البيروقراطي للحزب الذي جعلت الستالينية كثيرا من اليسار ان يخلط بينه وبين الحزب الاصيل . ان واحدة من ايضاحات كوهين ـ بنديت المنتقاة حول محافظية الحزب ، وهي حقيقة أن الحزب البلشفي في تموز ١٩١٧ تخلف وراء عمال بتروغراد وحاول أن يكبح ويحد من تظاهراتهم ، تلقى الضوء على هذه النقطة . لقد وقع الحزب اسير تناقض كامن في التطور غير المتساوي للحركة في روسيا بمجملها . وكما كتب تروتسكي «كان هناك الخوف من أن تصبح بتروغراد معزولة عن المقاطعات الاكثر تخلفا ؛ ومن جهة أخرى كان هناك الامل في ان التدخل النشط والحيوي لبتروغراد قد ينقذ الوضع . كانت هذه «المحافظية» انعكاسا لضغط أعضاء الحزب في المراكز الاخرى الذين بدورهم نقلوا مزاج دوائر الطبقة العاملة في تلك المراكز . ان حقيقة وجود حزب مرن بما فيه الكفاية ليتجاوب مع ذلك الضغط ربما تكون منعت اعادة كومونة باريس سنة ١٩١٧ . لقد كان هذا بالطبع

اقصى وضع متطرف ممكن، لكن مشاكل مشابهة لا مفر منها في كل مرحلة من التطور .

وهكذا فان الحزب الاشتراكي الثوري ضروري ، ولكن مثل هذا الحزب قد كان ضروريا لفترة طويلة . فلماذا يفترض انه بالامكان بناؤه في السبعينات ؟

ان الامر ، في الاساس ، مبني على تحليل الازمة العالمية الذي جاء في مجلة **الاشتراكية الاممية** ، وبشكل خاص على الموضوعة القائلة انه في الظروف المتغيرة للرأسمالية ، فان السياسات الاصلاحية ستكون أقل فأقل قدرة على اعطاء الحلول الجزئية للمسائل التي تواجه الطبقة العاملة والتي كانت قادرة على اعطائها في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية . هذا هو العامل الموضوعي .

ان العامل الذاتي الاكثر أهمية هو انحطاط القوة الايديولوجية للستالينية . انه لمن الصعب المبالغة في الاثر السابق للستالينية على اليسار وفي آثارها، مباشرة أو كرد فعل ، في استبعاد بناء بديل ، بشكل فعال . لقد قرضت هذه القوة منذ خمسة عشر عاما ، ببطء اولا ومن ثم بشكل أسرع فأسرع . واليوم فانها في حالة تفكك كامل . يجب عدم الخلط بين هذا الانحلال وبين الانحطاط التنظيمي للاحزاب الشيوعية . مع ان الحزب البريطاني قد انحط بالتأكيد الا ان هذا ليس الاعتبار الحاسم . فالحزب ما زال يتحكم بولاء كثير من المناضلين الصناعيين الجيدين ، ولكنه لم يعد يتحكم فيها على الاسس القديمة : لم يعد حزبا ستالينيا . اذ توجد بداخله كل انواع الاتجاهات ، والآن

ومع ذهاب العصمة البابوية لموسكو والى الابد فانه لا يمكن استعادة الحزب «المنوليثي» .

ان المجموعة المهيمنة في الحزب ، قيادة جولان ، هي اصلاحية تماما . ليس هناك من فرق كبير فيما اذا كانت قيادة الحزب ، كما يشك بعض نقاده ، تهدف الى تذويبه في حزب العمال أو أنها ، كما يبدو على الاغلب ، تتعلق بأوهام حول وجود متسع لحزب عمال اصلاحي ثان في السياسة البريطانية . وكعقبة في وجه اعادة تجميع اليسار فان الحزب قوة تذوي بسرعة .

لم يعد حزب العمال بنفس القوة التي كان بها عادة . ان هذا ، جزئيا ، تعبير عن انحطاط الحزب الشيوعي لان كل جناح يساري في حزب العمال في الماضي قد ارتكز بثقله على قاعدة نقابة الحزب الشيوعي ، وجزئيا هو نتيجة انحطاط عضوية منظمات حزب العمال نفسه ـ الشباب ، الاحداث ، الكتل الانتخابية ـ التي أصبحت مشهورة جدا في السنوات الاخيرة . ما زال هناك اشتراكيون أصيلون ينشطون داخل حزب العمال كما يوجد في داخله ايضا حاملو البطاقات الخاملون . لكنه لا يبدو محتملا ، وان لم يكن مستحيلا ، ان ينمو أي تيار اشتراكي قوي نوعا ما في الحزب .

يوجد اساس بدايات حزب اشتراكي ثوري بين اولئك المناضلين ، العمال الصناعيين الذين كانوا يعلقون الآمال على الحزب الشيوعي وبين أعداد متزايدة من العمال والطلاب الشباب الراديكاليين وبين المجموعات الثورية .

ان المسألة الاخيرة هامة ولكـن صعبـة . ان السبب الجذري وراء ذلك النوع من التشيعية الذي قد الم" باليسار البريطاني هو عزلة الاشتراكيين عن اي مشاركـة فعالـة ومؤثرة في النضالات الجماهيرية . ان هذه العزلة تتجه نحو الاختفاء بسرعة ولكن اثارها السلبية ـ تهويل الاختلافات الثانوية ، تحويل الاختلافات التكتيكية الى مسائل مبدأية ، العصبوية شبه الدينية التي تستطيع أن تعطي مجموعة ما قدرة كبيرة على الحياة في ظروف غير ملائمة على حساب اعاقة طاقتها للتطور الحقيقي ، المحافظية والعمى النظريين حيال مجالات غير مستحبة من الواقع ـ كلها آثار مستمرة. سيمكن التغلب عليها عند تحقيق تداخل واندماج جديين بين شرائح من العمال والطلاب خارج دوائر معينة ، وعند ذلك فقط . ان مجموعة **الاشتراكية الاممية** تنوي أن تقدم اسهاما ملموسا في ذلك التداخل . وبدون أن يكون لديها أي أوهام أنها «القيادة» ، فان المجموعة توجد لكي تقدم اسهاما عمليا ونظريا في بعث الاشتراكية ، في بريطانيا وعلى الصعيد العالمي .

تروتسكي حول الاستبدالية

طوني كليف

منذ عشرين سنة خلت اغتيل تروتسكي ★ . وان افضل عرفان يمكن ان يؤديه المرء لهذا الثوري العظيم، الذي لم يكن احد مثله يحتقر النفاق هو دراسة نقدية لبعض من افكاره. ونحن نعرض الدراسة التالية لاحد المسائل التي طرحهـا ببراعة فائقة في شبابه ، مسألة عذبته طيلة بقية حياته وما زالت مطروحة امامنا : مسألة العلاقة بين الحزب والطبقة، وخطر استبدال الاول للثانية .

★ نشر هذا المقال في البدء في صحيفة الاشتراكية الاممية ، ٢ خريف ١٩٦٠ .

في وقت مبكر جدا من حياته السياسية ، عندما كان عمره اربعا وعشرين عاما فقط ، تنبأ تروتسكي بأن مفهوم لينين للتنظيم الحزبي سيقود حتما الى وضع «يحل فيه الحزب محل الطبقات العاملة» ويتصرف كوكيل باسمها ، نيابة عنها ، وبغض النظر عما يفكر فيه العمال وما يريدونه.

سيقود مفهوم لينين هذا الى وضع « يحل فيه تنظيم الحزب محل الحزب ككل ، وتحل اللجنة المركزية محل التنظيم ، واخيرا ُيحل «الدكتاتور» نفسه محل اللجنة المركزية ...» (١) .

كرد على نموذج حزب لينين المركزي المكوّن من ثوريين محترفين ، اقترح تروتسكي «حزبا ذا قاعدة عريضة» على غرار الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية الغربية . ورأى ان الضمانة الوحيدة ضد «الاستبدالية» ــ والاصطلاح من وضعه ــ هي في الحزب الجماهيري ، المسيَّر ديمقراطيا والواقع تحت سيطرة الجماهير العمالية .

وقد ختم نقاشه ضد الرتابة والجمود : «ستكون مهام النظام الجديد غاية في التعقيد لدرجة أنها لا يمكن أن تحل الا عن طريق التنافس بين أساليب مختلفة للبناء الاقتصادي والسياسي ، عن طريق «منازعات» طويلة ، عن طريق نضال منهجي ليس فقط بين العالمين الاشتراكي والرأسمالي ولكن ايضا بين اتجاهات عديدة ضمن الاشتراكية ، اتجاهات

---

١ ــ ليون تروتسكي : مهامنا السياسية ص ٥٤ .

ستبرز حتما عندما تطرح دكتاتورية البروليتاريا عشرات ومئات من المشاكل (...) الجديدة . ليس باستطاعة اي تنظيم «مستبد» (...) ان يقمع هذه الاتجاهات والمناظرات.. ان البروليتاريا القادرة على ممارسة دكتاتوريتها على المجتمع لن تحتمل دكتاتورية عليها هي(...) ان الطبقة العاملة(...) ستحوي ، دون شك ، في صفوفها مجموعة لا بأس بها من العاجزين السياسيين (...) وأثقالا من الافكار البالية ، التي سيكون عليها أن تلفظها. وفي عهد دكتاتوريتها، كما هو الآن، عليها ان تنظف عقلها من النظريات الزائفة والتجربة البرجوازية . وأن تطهر صفوفها من تجار الجمل السياسيين والثوريين الى الوراء ... لكن هذه المهمة المعقدة لا يمكن حلها بوضع حفنة من الناس المنتقين بعناية فوق البروليتاريا .... او شخص واحد مخوّل ان يصفي ويهين» (١) .

في كلمات تروتسكي حول خطر«الاستبدالية» ★ الكامن في المفهوم اللينيني للتنظيم الحزبي ، وهجومه على الانتظام والرتابة ، يستطيع المرء رؤية عبقريته التنبوُية ، مقدرته على النظر الى أمام ، وعلى وضع كل أوجه الحياة ضمن نظام موحد .

يبدو ان تاريخ البلشفية منذ سنة ١٩١٧ قد جاء وبشكل

★ Substitutionism .

١ ـ نفس المصدر ص ١٠٥ ، وردت في كتاب دوتيشر النبي المسلح ص ٩٢-٩٣ .

كامل مصداقا على أتم وجه للتحذير الذي أطلقه تروتسكي سنة ١٩٠٤ . الا ان تروتسكي لم يعد اليه قط . سنحاول في هذا المقال أن نبين لماذا لم يفعل ذلك ونكشف عن جذور «الاستبدالية» بشكل خاص ونمحص مسألة العلاقة بين الحزب والطبقة بشكل عام .

مسألة الاستبدالية

ان الاستبدالية هي جزء من تقاليد الحركة الثورية الروسية . في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر بدأت مجموعات صغيرة ، مجرد حفنات من المثقفين بمقارعة الاتوقراطية الهائلة القوة بينما بقيت جماهير الفلاحين ، الذين عمل النارودنيك (الشعبيون) الابطال باسمهم ومن أجل مصالحهم ، لا مبالية بل وحتى معادية لهم .

في مستنقع اللامبالاة العامة ، وقبل ظهور حركة جماهيرية من اي نوع ، لعبت هذه القلة من المثقفين المتمردين دورا مهما وتقدميا . ولم يكن ماركس هو أقل من خصهم بعظيم المديح والاعجاب . وهكذا على سبيل المثال ، كتب لابنته الكبرى في نفس السنة التي سحقت فيها منظمة (ارادة الشعب) : « ان هؤلاء رجال يستحقون الاعجاب ، وبدون أية وقفة ميلودرامية ، كلهم بساطة ، انهم ابطال حقيقيون . ان اطلاق الصراخ من ناحية والمباشرة بالعمل من ناحية ثانية هما شيئان متعارضان تماما ولا يمكن المصالحة بينهما» .

ولكن «الاستبدالية» تصبح عنصرا خطيرا رجعيا عندما توجد حركة جماهيرية صاعدة ويحاول الحزب ان يحل محلها . لقد كان تروتسكي مفكراً علميا بما فيه الكفاية لكي لا يعتقد أنه بالامكان أن نجد في مفهومه عن الحزب ، دوره وعلاقاته بالطبقة ، سواء أكان هذا المفهوم خاطئا أم صحيحا، ضمانة كافية ضد الاستبدالية ، ومن اجل ديمقراطية حقيقية في حركة العمال السياسية .

ان الظروف الموضوعية لتجنب «الاستبدالية» قد وضعت بوضوح من قبل تروتسكي قبل بضعة شهور من كتابته للنص المقتطف أعلاه ، عندما قال في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (المنعقد في لندن ، ١٩٠٣) : «سيبقى موضوع حكم الطبقة العاملة امرا غير معقول حتى تتوحد جماهير العمال العظيمة في طلبه . عندها سيصبحون أغلبية ساحقة . لن تكون هذه دكتاتورية عصابة صغيرة من المتآمرين او حزب أقلية ، ولكنها دكتاتورية الاغلبية الواسعة لصالح الاغلبية الواسعة، لمنع ثورة مضادة. وباختصار ، فانها تمثل انتصار الديمقراطية الحقة» .

ان هذا التأويل للبيان الشيوعي هو في وفاق تام مع نضال تروتسكي ضد «الاستبدالية» . اذا حكمت الاكثرية فلا مكان للاقلية لتتصرف كوكيل لها .

في نفس الفترة لم يكن لينين أقل تأكيدا في القول بأن دكتاتورية البروليتاريا عندما تكون هذه أقلية صغيرة في المجتمع ستؤدي حتما الى استنتاجات لا ديمقراطية ، وبكلماته هو ، الى «استنتاجات رجعية» .

عندما دعا تروتسكي ، واضعين جانبا كلماته هو ، الى حكومة عمال كهدف فوري للحركة الثورية في روسيا ، أجاب لينين بحدة : «لا يمكن ذلك ! لا يمكن ذلك لان الدكتاتورية الثورية لا يمكن أن تستمر لفترة ، الا في حال ارتكازها على اكثرية عظمى من الشعب .... ان البروليتاريا تشكل أقلية.... ان كل من يحاول الوصول الى الاشتراكية بأي طريق دون المرور عبر مرحلة الديمقراطية السياسية ، سيصل لا محالة الى اكثر الاستنتاجات سخفا ورجعية ، اقتصاديا وسياسيا» (١) .

ان تحذير تروتسكي ضد «الاستبدالية» وتأكيده على دور «الاغلبية الواسعة لصالح الاغلبية الواسعة» كضمان وحيد ضد الاستبدالية هو في الواقع تناقض صارخ مع دعوته الى حكومة عمال في سنتي ١٩٠٥ و ١٩١٧ ، عندما كان العمال أقلية صغيرة . ان تروتسكي يتمزق في التناقض ما بين مفهومه المنسجم الاشتراكي والديمقراطي في معارضته لاي شكل من «الاستبدالية» ونظريته عن الثورة الدائمة حيث الاقلية البروليتارية تتصرف كوكيل لكل الكادحين وكحاكم للمجتمع . للاسف ، ليس هذا التناقض نتيجة لاي فشل في تفكير تروتسكي ، لاي عدم انسجام ، بل هو تعبير عن التناقضات الفعلية في الظروف الموضوعية.

لا تعتمد طبيعة الثورة ، بما فيها توقيتها الفعلي ، على

---

١ ــ لينين : «المؤلفات المختارة» العدد ٩ ص ١٤ .

حجم الطبقة العاملة بمفرده ولا حتى على مستوى تنظيمها ووعيها الطبقي ، ولكن على عدة عوامل متناقضة ومختلطة . ان العوامل المؤدية للثورة ـ الازمات الاقتصادية ، الحروب، والاضطرابات السياسية والاجتماعية الاخرى ـ لا تتزامن مع تنوّر البروليتاريا . ان عددا كبيرا من الاحوال الموضوعية يدفع العمال للثورة بينما يمكن لمس التفاوت في وعي الفئات والمجموعات المختلفة بوضوح . وفي بلد متخلف ، كروسيا القيصرية ، حيث كان المستوى الثقافي العام للعمال منخفضا ، وحيث تقاليد التنظيم والنشاط الذاتي الجماهيري ضعيفة ، فان هذا التفاوت كان ملموسا بشكل خاص وحيث أن الطبقة العاملة هناك اقلية صغيرة فان حكمها كان بالضرورة ديكتاتورية الاقلية لا الاغلبية .

وللتغلب على المأزق الفعلي الذي يواجه الثورة في روسيا ـ لتجنب حكم الاقلية من جهة ، ولتجنب النزوع «الإمتناعي» السلبي للمناشفة («يجب على البروليتاريا انلا تستولي على السلطة ما دامت أقلية في المجتمع») ـ نظر تروتسكي الى عاملين رئيسيين : الزخم والنشاط الثوريين للعمال الروس ، وانتشار الثورة الى بلدان اكثر تقدما حيث تشكل البروليتاريا اكثرية المجتمع .

على اي حال ، ماذا كان مصير «الاستبدالية» مع انحطاط الزخم الثوري في روسيا ذاتها ، وبشكل ليس أقل حسما ، مع تحطم النضالات الثورية في الغرب على صخور الراسمالية ؟

الاستبدالية في روسيا

بينما تأثرت العلاقة بين الحزب والطبقة بمستوى ثقافة الطبقة العاملة ووعيها الثوري فانها ايضا تأثرت بالـوزن النوعي للطبقة العاملة في المجتمع : بحجم الطبقة وعلاقاتها مع الطبقات الاخرى ، وفوق كل شيء ــ في روسيا ــ مع الفلاحين .

والآن ، لو ان الثورة الروسية كانت ثورة بورجوازية خالصة ــ كما ناقش المناشفة ــ او انها كانت ثورة اشتراكية خالصة ــ كما ناقش الفوضويون والاشتراكيون الثوريـون الذين لم يميزوا بين العمال والفلاحين ــ لكانت المسألـة سهلة ، وكان التجانس الاجتماعي النسبي للطبقات الثورية قد شكّل سندانا واسعا بما فيه الكفاية يطرق فوقه ويطرد من الوجود اي اتجاه لاستبدال الحزب الماركسي للبروليتاريا.

وعلى اي حال ، فان ثورة اكتوبر كانت مزيجا مـن ثورتين : ثورة الطبقة العاملة الاشتراكية ، نتاج الرأسمالية اليافعة ، وثورة الفلاحين ، نتاج التناقض بين الرأسماليـة الصاعدة والمؤسسات الاقطاعية القديمة . وكما في كـل الاوقات ، كان الفلاحون على استعداد كاف لنزع الملكيـة الخاصة لكبار ملاكي الاراضي ، ولكنهم ارادوا ملكياتهـم الخاصة الصغيرة . وبينما كانوا على استعداد للثورة ضد الاقطاعية ، لم يكونوا ، لنفس السبب ، الى جانب الاشتراكية.

وهكذا لم يكن من المدهش ان ذلك التحالف المظفر بين

العمال والفلاحين في ثورة اكتوبر قد تبعته فورا علاقات متوترة للغاية . وبعد التغلب على الجيوش البيضاء ، ومعها على خطر عودة الملكية العقارية ، تضاءل ولاء الفلاحين للعمال بشدة . لقد كان شيئا مفهوما ان يدعم الفلاح حكومة وزعت الارض ، ولكنها مسألة اخرى تماما عندما بدأت نفس الحكومة بمصادرة محصوله لاطعام السكان الجائعين في المدن .

لقد وجد التناقض بين الطبقة العاملة والفلاحين منذ بداية ثورة اكتوبر تعبيره في حقيقة ان لينين اضطر ، مبكرا سنة ١٩١٨ ، ان يلجأ الى الاجراء اللاديمقراطي في اعتبار صوت العامل الواحد مساويا لخمسة اصوات فلاحين في انتخابات السوفياتات .

والآن بدأت الثورة نفسها تقلب وزن البروليتاريا نسبة الى الفلاحين لصالح الثانية وضد الاولى .

اولا ، أدت الحرب الاهلية الى انحطاط رهيب في الوزن النوعي للطبقة العاملة . وأدى انتصار الطبقة العاملة في الثورة ، بشكل متناقض ، الى انحطاط في حجم الطبقة العاملة ونوعيتها .

فبما ان لكثير من العمال المدنيين صلات وثيقة بالقرى فقد هرعت أعداد لا بأس بها منهم الى الريف حال انتهاء الثورة ، من اجل المشاركة في اقتسام الارض . لقد شجع هذا الاتجاه اكثر نقص الطعام الذي عانت منه المدن ، طبعا ، الشيء الاكثر . أضف الى ذلك ان الجيش الاحمر الجديد، وعلى العكس تماما من الجيش القيصري القديم ، قد ضم

عمالا صناعيين اكثر نسبيا من الفلاحين . لكل هذه الاسباب مجتمعة انخفض عدد سكان المدن ، وخاصة أعداد العمال الصناعيين ، بشكل حاد جدا في الفترة ما بين ١٩١٧ و١٩٢٠ . انخفض عدد سكان بتروغراد بنسبة ٥٧ر٥ بالمئة، وموسكو بنسبة ٤٤ر٥ بالمئة ، وأربعين عاصمة اقليمية بنسبة ٣٣ بالمئة ، وخمسين مدينة كبيرة اخرى بنسبة ١٦ بالمئة . كلما كانت المدينة اكبر ، كلما كانت الخسارة النسبية للسكان اكثر. يمكن ايضاح مدى حدةالانحطاط اكثر بحقيقة ان عدد العمال في الصناعة قد انخفض من ثلاثة ملايين سنة ١٩١٧ الى ٠٠٠ر٢٤٠ر١ سنة ١٩٢١ ــ ٢٢ ، أي نقص نسبته ٥٨ر٧ بالمئة . وهكذا فقد انخفض عدد العمال الصناعيين بنسبة ثلاثة أخماس . وانخفضت انتاجية هؤلاء العمال اكثر حتى من انخفاض عددهم . (كان الانتاج الصناعي في روسيا سنة ١٩٢٠ فقط حوالي ١٣ بالمئة مما كان عليه سنة ١٩١٣ !) .

وكانت الغالبية العظمى مما تبقى من العمال تشكل القطاع الاكثر تخلفا من الطبقة العاملة ، أولئك الذين لم يكن بهم حاجة في الجبهات العسكرية او في ادارة الدولة او في النقابات والحزب . وبالطبع ، فقد اخذت ادارة الدولة والجيش معظم كوادرها من ذلك الجزء من العمال ذوي التقاليد الاشتراكية العريقة والتجربة السياسية الاوفر والثقافة الاعلى .

وكان لتمزق الطبقة العاملة اثرا أسوأ من ذلك . لقد اضطرت بقايا الطبقة ، نظرا لقلة الطعام ، ان تتصرف كتجار

صغار وفرديين اكثر مما تصرفت جماعيا وكطبقة موحدة . لقد جاء في الحسابات ان الدولة لم تقدم سنة ١٩١٩ ـ ٢٠ الا ٤٢ بالمئة من القمح الذي تستهلكه المدن ، وحتى نسب أقل من مواد غذائية اخرى ، وبيع الباقي كله في السوق السوداء (١) . وكان شائعا تماما بيع العمال للاثاث والملابس، وأيضا الاحزمة والادوات من المعامل التي يعملون فيها (٢) . يا له من تفتيت ويا له من افساد للطبقة العاملة الصناعية !

في نمط حياة العمال الافراد ، المعتمدين على التجارة الممنوعة والفردية ، كان من الصعب تمييزهم عن الفلاحين. وكما يطرحها **رود زوتاك** في المؤتمر الثاني لنقابات العمال المنعقد في كانون ثاني ١٩١٩ : «نلاحظ في عدد كبير من المراكز الصناعية وكنتيجة لتقلص الانتاج ان العمال يُمتصون ضمن الجماهير الفلاحية ، وبدلا من سكان من العمال نحصل على سكان نصف فلاحين وأحيانا فلاحين تماما» (٣) .

تحت ظروف كهذه تفككت القاعدة الطبقية للحزب البلشفي ـ ليس بسبب بعض أخطاء البلشفية ، ليس بسبب مفهوم او آخر للبلشفية يتعلق بدور الحزب وعلاقته بالطبقة ـ ولكن بسبب عوامل تاريخية أعتى . لم تعد الطبقة العاملة طبقة .

---

١ ـ كرتسمان : «المرحلة المجيدة في الثورة الروسية العظيمة» .

٢ ـ المؤتمر الرابع لاتحادات المهنيين لعموم روسيا ، المجلد الاول.

٣ ـ المؤتمر الثاني لاتحاد المهنيين في روسيا .

صحيح ان لينين في ظروف اليـــأس ، او المرارة ، أستطاع ان يقول في ايار ١٩٢١ : «حتى عندما يكون على البروليتاريا ان تعيش فترة في وضع تكون فيها لا طبقة ، فانها ما تزال تستطيع القيام بمهامها في السيطرة علـــى السلطة والاحتفاظ بها» (١) . ولكن يا له مـــــن قانون «استبدالي» متطرف ! حكم طبقة عاملة لم تعـــد طبقة ـ ابتسامة قطة شيشاير (٢) بعد ان تكون القطة قد اختفت !

في حال النارودنيك ، لم يكن المفهوم «الاستبدالــي» سببا أوليا ، ولكن كنتيجة للامبالاة الشعب وخموله العاميين والضاربين بجذورهما في الظروف الاجتماعية الموضوعية . والآن وأيضا ، في حالة «الاستبدالية» البلشفية ، فانها لم تخرج من رأس لينين كما خرجت منيرفا من رأس زيوس ، ولكنها ولدت في الظروف الموضوعية للحرب الاهلية في بلد فلاحي حيث ضعفت طبقة عاملة صغيرة وتبعثرت وذابت في الجماهير الفلاحية .

قد تساعد المقارنة التالية فيايضاح ظهور «الاستبدالية» بعد ثورة اكتوبر : ليس على المرء الا ان يتخيل اضرابـــا جماهيريا حيث بعد فترة طويلة يصبح غالبية العمال خائري القوى والمعنويات وحيث اقلية فقط تتابعلتصل خط النهاية، يهاجمها المدير ويهزأ بها ويتبرم منها غالبية العمال . يعاد

---

١ ـ لينين ، «المؤلفات المختارة» ، المجلد ١٦ ، ص ٢٩٤ .

٢ ـ بلد في غرب انجلترا .

هذا الوضع المأساوي مرة تلو المرة على ساحة معركة الصراع الطبقي . في مواجهة الحرس الابيض ، مع معرفة ان حمام دم رهيب يهدد الشعب اذا تخلى البلاشفة عن الصراع ومع معرفة عزلتهم هم ، لم يجد البلاشفة مخرجـــا . وكانت «الاستبدالية» ، ككل التمائم ، انعكاسا للمأزق الاجتماعي .

الاستبدالية في الحزب

لم يعد سوى خطوة قصيرة نحو الغاء ديمقراطية الحزب الداخلية وتأسيس حكم رسميّي الحزب ضمنه .

وعلى العكس من الميثولوجيا الستالينية ــ وكذلــك ميثولوجيا المناشفة والخصوم الآخرين للبلاشفة ــ لم يكن الحزب البلشفي قط حزبا ذا وحدة صخرية او توتاليتارياً . لقد كان بعيداً عن ذلك . لقد كان للديمقراطية الداخلية دائما الاهمية القصوى في حياة الحزب ، ولكن لسبب او لآخر فقد غض النظر عن هذا في معظم الادبيات التي تعالـــج الموضوع . ولذا فانه من الاهمية بمكان الاستطراد بعــض الشيء وتكريس حيز صغير لطرح عدد من الحالات التـــي توضح درجة ديمقراطية الحزب الداخلية وغياب المنوليثية في تاريخ البلشفية .

في سنة ١٩٠٧ ، وبعد الهزيمة النهائية للثورة ، عانى الحزب ازمة بسبب الموقف الواجب اتخاذه بشأن انتخابات الدوما القيصري. في المؤتمر الثالث لحزبالعمال الاشتراكي

الديمقراطي الروسي (المنعقد في تموز ١٩٠٧) ، والذي تمثل فيه البلاشفة والمناشفة معا، ظهر وضع ملفت للنظر: صوّت كل المندوبين البلاشفة ، مع الاستثناء الوحيد للينين ، الى جانب مقاطعة انتخابات الدوما ، وصوّت لينين مع المناشفة. وبعد ثلاث سنوات ، اتخذت اللجنة المركزية للبلاشفة بالاجماع قرارا يقضي بالوحدة مع المناشفة ؛ ومرة اخرى كان الصوت المعارض الوحيد هو صوت لينين (١) .

عندما اندلعت حرب ١٩١٤ ـ ١٨ ، لم يتبنّ أي من فروع الحزب الموقف الانهزامي الثوري الذي دعا اليه لينين(٢) ؛ وفي محاكمة لبعض القادة البلاشفة سنة ١٩١٥ ، تبرأ كامنييف ومندوبان بلشفيان للدوما علنا امام المحكمة ، من موقف لينين الثوري الانهزامي (٣) .

بعد ثورة شباط ، لم تكن الاغلبية الواسعة من قادة الحزب مع حكومة سوفييت ثورية ، بل مع دعم الحكومة الائتلافية المؤقتة . كان للجناح البلشفي اربعون عضوا في سوفييت بتروغراد في الثاني من آذار سنة ١٩١٧ ولكنه عندما طرح قرار نقل السلطة الى الحكومة الائتلافية

---

١ ـ ل. تروتسكي ، تاريخ الثورة الروسية ، لندن ١٩٣٢ ، المجلد الاول .

٢ ـ نفس المصدر ، الطبعة السادسة ، المجلد الاول .

٣ ـ نفس المصدر ولينين : «سوشنينيا» ، العدد ٢١ .

البرجوازية على التصويت ؛ لم يكن ضده الا ١٩ صوتا (١) .

في اجتماع للجنة الحزب في بتروغراد (٥ آذار ١٩١٧)، لم ينل قرار من اجل حكومة سوفييت ثورية الا صوتا واحدا (٢) . واتخذت **البرافدا** ، التي كان يرأس تحريرها ستالين في ذلك الوقت ، موقفا لا يمكن تسميته ثوريا بأي شكل من الاشكال ، اذ أعلنت بحسم دعمها للحكومة المؤقتة «ما دامت تناضل ضد الرجعية والثورة المضادة» (٣) .

وعندما جاء لينين الى روسيا في الثالث من نيسان ١٩١٧ ، وأصدر «موضوعات نيسان» الشهيرة ـ ضوءا يقود الحزب الى ثورة اكتوبر ـ فانه بقي مدة ضمن أقلية صغيرة داخل حزبه نفسه . كان تعليق **البرافدا** على «موضوعات نيسان» انها كانت «وجهة نظر لينين الشخصية» وانها «غير مقبولة» (٤) ابدا . وفي اجتماع للجنة بتروغراد في الحزب في الثامن من نيسان ١٩١٧ ، لم تنل «الموضوعات» غير صوتين بينما صوّت ثلاثة عشر ضدها وامتنع واحد عن التصويت (٥) . وعلى اي حال ، فانه في مؤتمر للحزب عقد

---

١ ـ **شليابنكوف ، (السنة السابعة عشرة) ، في روسيا ، موسكو** ١٩٢٤ ، المجلد الاول ص ١٩٧ .

٢ ـ بوبنوف وآخرون .

٣ ـ البرافدا ١٥ اذار ١٩١٧ ، اقتطفها تروتسكي .

٤ ـ البرافدا ٨ نيسان ١٩١٧ .

٥ ـ بوبنوف ، مقتطف ، ص ١١٤ .

في الفترة ما بين ١٤ و٢٢ نيسان ربحت «الموضوعـــات» الاكثرية : ٧١ مع ، ٣٩ ضد و٨ ممتنعون عن التصويت (١) .
وهزم نفس المؤتمر لينين في مسألة اخرى مهمة وهي فيما اذا كان الحزب سيشارك في مؤتمر ستوكهولم للاحــزاب الاشتراكية . وخلافا لآرائه ، فقد قرر المشاركة الكاملة (٢).
وفي الرابع عشر من ايلول دعا كيرنسكي الى عقـــد «مؤتمر ديمقراطي» ، وتكلم لينين بقوة باتجاه مقاطعته ، ودعمته اللجنة المركزية بتسعة اصوات مقابل ثمانية ؛ ولسبب الفارق الضئيل جدا في الاصوات فقد ترك القرار الاخـير لمؤتمر الحزب ، الذي شكل من الجناح البلشفي في «المؤتمر الديمقراطي» . قرر هذا الاجتماع بأغلبية ٧٧ صوتا مقابل ٥٠ ، عدم المقاطعة (٣) .
وعندما طُرحت اكثر المسائل اهمية ، مسألة انتفاضة اكتوبر ، مسألة الساعة ، انشقت القيادة على نفسها : فقد عارض الانتفاضة جناح قوي (يقوده زينوفييف وكامينيف وريكوف وبياتاموف وmليوتين ونوغين) ، على انه عندمـــا انتخب المكتب السياسي من قِبَل اللجنة المركزية لم يستثن زينوفييف او كامنييف .

---

١ ــ مقررات الحزب الشيوعي المجري البلشفي . الطبعة الرابعة المجلد الاول .
٢ ــ لينين : «المؤلفات المختارة» ، الطبعة الثالثة المجلد العشرون.
٣ ــ نفس المصدر ، المجلد الحادي والعشرون ص ٥٢٦ .

بعد الاستيلاء على السلطة استمرت الخلافات في قيادة الحزب بنفس الحدة السابقة . وبعد بضعة أيام من الثورة تقدم عدد من قيادة الحزب بطلب يقضي بائتلاف مع الاحزاب الاشتراكية الاخرى ، وكان ممن أصر على ذلك ريكوف : مفوض الشعب للداخلية ، وميليوتين ، مفوض الشعب للصناعة والتجارة ، ولونا شارسكي، مفوضةالعمل، وكامنييف رئيس الجمهورية ، وزينوفييف . ووصلوا الى حد الاستقالة من الحكومة مرغمين بذلك لينين وأنصاره على بدء المفاوضات مع الاحزاب الاخرى . (توقفت المفاوضات لان المناشفة أصروا على استبعاد لينين وتروتسكي من الحكومة الائتلافية) .

ومرة اخرى ، وحول مسألة عقد او تأجيل انتخابات الجمعية التأسيسية (في كانون اول ١٩١٧) ، وجد لينين نفسه ضمن أقلية في اللجنة المركزية ، وجرت الانتخابات خلافا لنصيحته (١) . وبعد ذلك بقليل هُزم مرة اخرى في مسألة مفاوضات السلم مع المانيا في بريست ـ ليتوفسك. كان لينين مع سلام فوري . ولكنه وفي اجتماع للَّجنة المركزية وعمال نشيطين عُقد في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩١٨ نال اقتراحه ١٥ صوتا فقط في مقابل اقتراح بوخارين حول «حرب ثورية» الذي نال ٣٢ صوتا واقتراح تروتسكي حول «لا سلم ولا حرب» الذي نال ١٦ صوتا (٢) . وفي دورة للَّجنة المركزية في اليوم التالي ، هُزم

---

١ ـ بوبنوف .

٢ ـ تروتسكي في كتابه (ستالين) ، لندن ص ٣٤١-٣٤٢ .

لينين مرة اخرى. لكنه نجح اخيرا، وتحت **ضغط الاحداث،** في اقناع غالبية اعضاء اللجنة المركزية بوجهة نظره ، وفي الدورة المنعقدة في الرابع والعشرين من شباط نال اقتراحه من اجل السلام سبعة اصوات بينما صوّت اربعة ضـــده وامتنع أربعة آخرون عن التصويت (١) .

ومهما يكن من امر ، فان ديمقراطية الحزب الداخلية تقلصت تحت ضغط الظروف الموضوعية المشار اليها أعلاه. وفي عزلته ، أصبح الحزب يخاف ان يفكر بصوت عالٍ وان يظهر خلافاته . لقد بدا وكأنهم في قارب مفكك صغير وسط منحدر ماء . لقد مات بالضرورة جو النقاش الحر .

لقد غدت انتهاكات الديمقراطية الداخلية للحزب أسوأ فأسوأ . وهكذا فقد تكلم ك.ك. يورينيف ، على سبيـــل المثال ، في المؤتمر التاسع (نيسان ١٩٢٠) عن الوسائل التي تستعملها اللجنة المركزية لخنق النقد بملء فيها النفي الفعلي للناقدين : «يُنفى أحدهم الى كريستيانا وآخر يبعث الى الاورال وثالث الى سيبريا» (٢) . وقال انه فـــي سلوكها اتجاه الحزب ، لم تعد اللجنة المركزية «وزارة تحاسب ، بل حكومة لا تحاسب» . وفي نفس المؤتمـــر ، عارض ف.ن. مكسيوفسكي «المركزيـــــة الديمقراطية» بـ «المركزيـــة

---

١ ــ نفس المصدر ، ص ٥١٢ .

٢ ــ مؤتمر الحزب الشيوعي الروسي البلشفي التاسع .

البيروقراطية» التي كان المركز مسؤولا عنها . وقد علق : «يقال ان السمك يبدأ بالفساد من رأسه . يبدأ الحزب المعاناة في القمة بسبب تأثير المركزية البيروقراطية» (١) . وأعلن سابرانوث «مهما تكلمتَ عن الحقوق الانتخابية وعن دكتاتورية البروليتاريا وحول توق اللجنة المركزية الى دكتاتورية الحزب ، فان هذا في الواقع يقود الى دكتاتورية بيروقراطية الحزب» (٢) .

في المؤتمر الحادي عشر ، قال ريازانوف : «ان لجنتنا المركزية هي بحد ذاتها مؤسسة خاصة . يقال ان البرلمان الانجليزي كلي الجبروت : انه ليس عاجزا الا عن تحويل رجل الى امرأة . ان لجنتنا المركزية اكثر جبروتا : لقد استطاعت ان تحوّل اكثر من رجل واحد ثوري جدا الى امرأة عجوز، وان عدد هؤلاء العجائز قد زاد بشكل لا يصدق» (٣)، واكثر من ذلك فقد أتهمها بالتدخل في كافة مجالات الحياة الحزبية. واعطى ف. كوسيور أمثلة عديدة عن قادة محليين في كل من الحزب والنقابات عزلوا بقرارات من المكتب السياسي او المكتب التنظيمي : «عمال كثر يتركون الحزب. كيف يفسر هذا ؟ ان هذا ، رفاقي الاعزاء ، يمكن تفسيره بنظام القبضة القوية الذي ينمّى بيننا ، والذي ليس له اية

---

١ ــ نفس المصدر .
٢ ــ نفس المصدر .
٣ ــ نفس المصدر .

علاقة مع الانضباط الحزبي الحقيقي . ان حزبنا يحمل الخشب وينظف الشوارع وحتى يصوّت لكنه لا يقرر اية مسألة . ولكن البروليتاريا غير المعافاة تجد نفسها في هذه الاوضاع ولا تستطيع احتمالها » (١) .

شكا بريوبراجنسكي في المؤتمر الثاني عشر من ان ٣٠ بالمئة من أمناء لجان الحزب في المناطق قد «أوصي بهم» لمراكزهم من قبل اللجنة المركزية للحزب منتهكة بذلك مبادىء انتخاب كل المسؤولين الحزبيين (٢) . من هنا لم يعد بعد سوى خطوة واحدة نحو السلطة المطلقة **للامين العام** .

يستطيع المرء القول دون تردد ان استبدال طبقة عاملة حاكمة لطبقة رأسمالية ـ حيث كانت الراسمالية في نشأتها وحيث كانت اغلبية الشعب من صغار الرأسماليين (الفلاحين) ـ كان هو السبب وراء احلال الحزب الماركسي محل الطبقة العاملة ، وان هذا قد أدى الى احلال رسميي الحزب محل الحزب ، وأخيرا الى الدكتاتورية الفردية **للأمين العام** .

لقد عالج ماركس وانجلز اكثر من مرة مسألة ما يمكن حدوثه اذا استولت الطبقة العاملة على السلطة قبل توفر المقدمات التاريخية لاحلال علاقات الانتاج الاشتراكية محل الراسمالية . واستنتجا انه في مثل هذه الحالة ستتشق

---

١ ـ نفس المصدر .

٢ ـ نفس المصدر .

الطبقة العاملة الطريق أمام الراسمالية النامية . كتب انجلز: «ان أسوأ ما يمكن ان يحدث لقائد حزب متطرف هو ان يُرغم على استلام السلطة في ظرف ما زالت فيه الحركة لم تنضج بعد لتسمح بسيطرة الطبقة التي يمثلها ، ومن اجل تطبيق التدابير التي تقتضيها تلك السيطرة ... فانه سيجد نفسه ، بالضرورة ، في مأزق لا مخرج منه. ان ما يستطيع عمله يتعارض مع كل ممارساته السابقة ، ومع كل مبادئه ومع المصالح الراهنة لحزبه ؛ وان ما **يجب** عمله لا يمكن تحقيقه . وبكلمة ، فانه مضطر لان يمثل ليس حزبه او طبقته بل الطبقة التي تكون الظروف ناضجة لهيمنتها . ومن اجل مصالح الحركة ذاتها فانه مضطر لان يدافع عن مصالح طبقة غريبة ، وان يغذي طبقته هو بالجمل والوعود وبالتأكيدات على ان مصالح تلك الطبقة الغريبة هي مصالح طبقته نفسها . ان كل من يجد نفسه في مثل هذا الوضع هو هالك لا محالة» (١) .

ليس غير امتداد الثورة كان بامكانه أن يجنب البلشفية هذا المصير المأساوي . وبهذا الاحتمال رهنت البلشفية مصيرها . وليس غير «الامتناعيين» والجبناء يمكن ان ينصحوا البلاشفة ان لا يذهبوا الى حدود الامكانات الثورية للبروليتاريا الروسية خوفا من ان يجدوا أنفسهم في نهاية «الطريق المسدود» . ان الدينامية الثورية والأبعاد الاممية

---

١ ـ انجلز : حرب الفلاحين في المانيا .

تنبضان في قلب البلشفية .

الخطر الكامن في الاستبدالية

على اي حال ، اذا كانت **الدولة** التي أقامها الحـــزب البلشفي تعكس ليس فقط ارادة الحزب بل الواقع الاجتماعي الكلي الذي وجد البلاشفة الحاكمون انفسهم فيه ، فلا يجب الوصول الى الاستنتاج انه لم يكن ثمة صلة سببية بالمرة بين مركزية البلاشفة القائمة علـــى اساس هرم من ثوريين محترفين ، وستالينية المستقبل . دعنا ننظر الى هـــذه المسألة بامعان اكثر .

ان حقيقة ان الحزب الثـــوري ضروري دائما للثورة الاشتراكية تظهر وجود تفاوت في مستوى ثقافة ووعي فئات ومجموعات مختلفة من العمال . فلو كانت الطبقة العاملـــة طبقة متجانسة ايديولوجيا لما كان هناك من حاجة لقيادة . ان الثورة ويا للاسف لا تنتظر حتى تكون الجماهير قـــد وصلت مستوى ثقافيا معينا ، او مستوى معينا من الوعي الطبقي . وتحت تأثير اضطهاد الراسمالية المادي والمعنوي، تظهر الفئات المختلفة من العمال مستويات مختلفة مـــن الاستقلال الطبقي . ولو لم يكن هذا التفاوت في الوعي بين الفئات المختلفة من الطبقة العاملة لكان من الصعب علـــى الطبقة الراسمالية في البلدان المتقدمة ان تجد لنفسها اية قاعدة اجتماعية . وتحت مثل هذه الظروف يكون الصراع

الطبقي تقدما تدريجيا وسلسا. وفي الواقع سيصبح الصراع امرا نادرا وسيحل محلهصراع العمال ضد كاسري الاضرابات من العمال أنفسهم وضد الشرطة والجنود (وهم عمال في بزة عسكرية) . ولو كانت الطبقة العاملة متجانسة لما كانت هناك حاجة الى دولة عمال ايضا : ستكون سلطة القسر بعد الثورة غير ضرورية . ولكن الثورة ، ويا للاسف ، ابعد ما تكون عن هذه الاحلام الليبرالية الفوضوية . وسيفترض الانضباط البروليتاري سواء في ظل الرأسمالية او بعد الثورة البروليتارية مباشرة ، وجود عمال متفاوتي التنوّر والوعي ، اي وجود قيادة ، اضافة الى وجود مزيج من الاقناع والقهر . ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تحرر نفسها دفعة واحدة من الرواسب الموروثة عن البربرية الرأسمالية .

في ظل الرأسمالية ، يواجه الانضباط العمال كقوة قهرية خارجية ، كقوة يمتلكها راس المال ضدهم ، اما في ظل الاشتراكية فسيكون الانضباط نتيجة للوعي ، سيصبح عادة شعب حر . وفي مرحلة الانتقال سيأتي نتاجا لوحدة عنصرين : الوعي والقسر . ستكون ملكية العمال الجماعية لوسائل الانتاج ، اي ملكية دولة العمال لوسائل الانتاج ، أساس العنصر الواعي في انضباط العمل. وفي نفس الوقت فان الطبقة العاملة ، جماعيا ، من خلال مؤسساتها ــ السوفيتات ، النقابات . . الخ ــ ستظهر كقوة قسرية بما يختص بضبط العمال الافراد في الانتاج .

ان التعارض بين الفرد والجماعة ، وضرورة توحيد

الاقناع مع نقيضه البشع ، القهر ، واضطرار الطبقة العاملة لاستعمال وسائل بربرية موروثة عن الراسمالية لمقاتلة البربرية الراسمالية ، ليست سوى تأكيد آخر على ان العمال ليسوا متحررين روحيا في ظل الراسمالية وسيحتاجون الى حقبة تاريخية كاملة لتكتمل انسانيتهم . بالرغم من اتفاقنا مع الفوضويين حول ان الدولة ، وحتى دولة العمال ، هي وليد بذيء للمجتمع الطبقي وان التاريخ الانساني الحقيقي يبدأ فقط مع وجود دولة عمال منسجمة حقا ، فانه على مثل هذا الاساس فقط ستتلاشى الدولة نهائيا .

ان حقيقة حاجة الطبقة العاملة الى حزب او احزاب هي بحد ذاتها برهانا على الشروخات في الطبقة العاملة . فكلما كان العمال اكثر تخلفا وتنظيمهم وادارتهم الذاتية أضعف ، تعمقت الهوة الثقافية بين الطبقة وحزبها الماركسي . من هذا التفاوت ضمن الطبقة العاملة ينبع الخطر العظيم لتطور مستقل للحزب وآلته حتى يصبح سيدا على الطبقة ، بدلا من ان يكون عبدا لها . ان هذا التفاوت هو مصدر رئيسي لخطر «الاستبدالية» .

ان تاريخ البلشفية ما قبل الثورة حافل بنضال لينين ضد هذا الخطر . ما اكثر ما استنجد بجماهير العمال – خاصة في الشهور العاصفة من سنة ١٩١٧ – في وجه قيادة الحزب المساومة المتذبذبة وآلته . وكما لخّص تروتسكي ، بصحة بالغة ، العلاقة الداخلية بين لينين والجماهير وآلة الحزب : «لم يكن لينين قويا لانه فهم قوانين الصراع الطبقي فحسب ، بل لان اذنه كانت متناغمة،

بشكل لا خطأ فيه ، مع مشاعر الجماهير في حركتها . لم يكن لينين يمثل آلة الحزب كطليعة للبروليتاريا . وكان مقتنعا بشكل قاطع ان آلافا من بين هؤلاء العمال الذين تحملوا مشقات دعم الحزب في نضاله السري سيدعمونه الان . لقد كانت الجماهير في ذلك الوقت أكثر ثورية من الحزب وكان الحزب اكثر ثورية من آلته . ومبكرا منذ آذار اصبح الموقف الفعلي للعمال والجنود في حالات عديدة ظاهرا بشكل عاصف وكان ذلك الموقف على خلاف حاد مع التعليمات التي تصدرها كل الاحزاب بما فيها الحزب البلشفي ... ومن جهة اخرى ، كانت سلطة آلة الحزب ، كما هو حال محافظيته ، ما زالت في طور التكوين في ذلك الوقت . لم يمارس لينين تأثيرا كفرد ، بل لانه جسّد تأثير الطبقة على الحزب ، والحزب على آلته» (١) .

---

١ ـ تروتسكي في كتابه (ستالين) ص ٢٠٤ . انه لمن المحزن الاشارة الى انه عندما عالج تروتسكي مسألة أخطار المحافظية البيروقراطية في التنظيمات التروتسكية فانه استخف بالفكرة والتجأ الى تأويل مادي تبسيطي للبيروقراطية . وعندما أتهم الزعيم الامريكي التروتسكي (كانون) بالمحافظية البيروقراطية ، قال تروتسكي ان الاتهام «ليس اكثر من تجريد سيكولوجي طالما لا توجد مصالح اجتماعية خاصة وراء هذه المحافظية» . (تروتسكي : دفاعا عن الماركسية ص ٨١) . ما هي المصالح الاجتماعية الخاصة وراء «رجال اللجنة» ما قبل ١٩١٧ الذين كان ستالين نموذجا لهم؟ ان هذا ما لا يحاول تروتسكي ايضاحه ـ بشكل صحيح =

ان الناس يصنعون التاريخ ، واذا كان لهؤلاء المنتظمين في حزب تأثيرا على التاريخ اعظم مما يضمن عددهم النسبي، فانهم ، على اي حال ، لا يصنعون التاريخ بمفردهم، ولحسن الحظ او لسوئه فانهم بمفردهم ليسوا السبب في وزنهم النوعي الاعظم ولا في التاريخ العام للطبقة ولا حتى في تاريخهم هم ضمن هذه الطبقة . وفي التحليل الاخير ، ان الاسلحة الوحيدة لمقاتلة «استبدالية» الحزب الثوري للطبقة ، وبالتالي تحوّل الاول الى قوة محافظة ، هي فاعلية الطبقة ذاتها ، وضغطها ليس ضد عدوها الاجتماعي فقط بل وايضا ضد وكيلها نفسه ، اي حزبها .

ليس هذا مكان ابراز كم ذهب تروتسكي بعيدا في الممارسة ، في قلب الضرورة الى فضيلة ، والى اي أقاصٍ من التعميم قد انعطف ليبرر الممارسات «الاستبدالية» المضادة للديمقراطية والمضادة للطبقة العاملة .

يكفي ان نذكر مناقشاته سنة ١٩٢١ لصالح «عسكرة العمل» ـ العمل الاجباري المفروض من قبل الدولة . وقد قال ان النقابات يجب ان تدوّل . نريد «نوعا جديدا من النقابي ، المنظّم الاقتصادي الحيوي والواسع الخيال الذي سيتعامل مع القضايا الاقتصادية ليس من زاوية التوزيع والاستهلاك بل من زاوية توسيع الانتاج ، والذي سينظر

= تماما ـ في كتابه (ستالين) الذي كان موضوعه المركزي الطبيعة المحافظة اللاديمقراطية لـ «رجال ـ اللجنة» . ـ الكاتب ـ

اليها ليس بعينيّ من تعود على ان يواجه الحكومة السوفياتية بالطلبات ، وعلى ان يضارب ، ولكن بعينيّ منظّم اقتصادي حقيقي» (١) . ماذا عن دفاع العمال تجاه الدولة وحتى تجاه دولة عمال ؟ هل تستطيع النقابات ان تهمل هذا ؟ لم يجب تروتسكي عن هذه الاسئلة ، بل انه لم يطرحها . قال في المؤتمر التاسع : «لا يمكن التفكير بالعسكرة بدون عسكرة النقابات نفسها ، بدون اقامة نظام يشعر فيه كل عامل انه جندي عمل لا يستطيع ان يتخلص من نفسه بحرية ، اذا أعطي الامر بنقله فعليه ان ينفّذه ، واذا لم ينفذه سيعتبر فارّاً يعاقَب . من يضطلع بهذا ؟ النقابة . انها تخلق النظام الجديد . هذه هي عسكرة الطبقة العاملة» (٢) .

حتى يموه اتجاهه «الاستبدالي» ذهب تروتسكي الى حد القول سنة ١٩٢٤ : «ليس منا من يرغب او يستطيع ان يجادل في ارادة الحزب . ان الحزب ، في التحليل الاخير ، دائما على حق لان الحزب هو الارادة التاريخية الوحيدة المعطاة للبروليتاريا لحل قضاياها الاساسية . لقد سبق وقلت انه ليس هناك ما هو أسهل من الاعتراف بخطأ أمام الحزب الذي ينتمي اليه المرء ، ليس ما هو أسهل من القول: ان كل انتقاداتي وأقوالي وتحذيراتي واعتراضاتي – ان كل شيء كان ببساطة خطأ . على اي حال ، لا استطيع قول

---

١ – مقتطف من تروتسكي أورده دويتشر في كتابه: «النقابات السوفياتية» .
٢ – المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروسي البولشفي .

ذلك ، ايها الرفاق ، لانني لا أعتقده . أعرف ان المرء يجب ان لا يكون على حق **ضد** الحزب . يستطيع المرء ان يكون على حق مع الحزب فقط وعبر الحزب لان التاريخ لا يمتلك طريقا آخر من اجل ان نكون على حق . ان للانجليز المثل القائل : «وطني دائما على حق» ونحن نستطيع القول مع تبرير تاريخي اكثر بكثير : حزبي – في حالات ملموسة معينة – دائما على حق ... واذا اتخذ الحزب قرارا يظن أحدنا انه غير عادل ، فانه سيقول : سواء اكان عادلا ام غير عادل فانه حزبي وسأدعم عواقب القرار حتى النهاية» (١) .

---

١ – المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروسي البلشفي .

غالبا ما يستشهد بموقف لينين وتروتسكي من انتفاضة كرونشطاط من قبل المناشفة والفوضويين ونقاد يساريين آخرين للينين وتروتسكي كمثال على القمع البيروقراطي . وفي الحقيقة فان الوجه الرئيسي لكرونشطاط كان انتفاضة فلاحية وشبه فلاحية ضد المدن . وهكذا فقد لعبت المعارضات الداخلية في الحزب (بما فيها المعارضة العمالية التي قادها شليابنكوف وكولونتاي) دورا مهما في قمعها ، وفي اعقابها اتت سياسة التنازلات للرأسمالية الصغيرة ، اي الفلاحين ، الا وهي السياسة الاقتصادية الجديدة . وعلى اي حال فان مسألة كرونشطاط وكذلك الجماعات المعارضة المختلفة التي جاءت قبل التحاق تروتسكي بالمعارضة والتي انضمت اليه سنة ١٩٢٣ تحت قيادته ، هي مسألة مثيرة للاهتمام تستحق دراسة منفصلة . (الكاتب)

الاستبدالية اليوم

كنقطة بداية من اجل تقييم لدور الحزب الثوري في علاقته مع الطبقة العاملة فاننا لا نستطيع الا ان نرجع الى الفقرة التالية في **البيان الشيوعي** : «لقد كانت كل الحركات التاريخية السابقة حركات قامت بها أقليات او جرت في مصلحة الاقليات . اما حركة البروليتاريا فهي حركة الاغلبية الساحقة المستقلة والواعية لذاتها ، من اجل مصالح الاغلبية الساحقة» .

من المستوى الثقافي للعمال في البلدان الصناعية الاعلى كثيرا منه في روسيا ؛ ومن الاعتماد الاكثر على الذات والعادات التنظيمية ، ومن التجانس الاجتماعي الاكبر نسبيا لجماهير الكادحين في هذه البلدان (غير المغرَقة بحشود الفلاحين) ، يستطيع المرء ان يستنتج ان التفاوت في وعي الجماهير ما قبل الثورة وخلالها وبعد انتصارها سيكون اقل كثيرا مما كان عليه في روسيا ، مع انه لن يكون قد اختفى تماما .

نستطيع الخلوص من ذلك بعدد من الاستنتاجات :

أولا ، حول حجم الحزب الثوري بالمقارنة مع حجم الطبقة العاملة ككل . في تشرين أول سنة ١٩٠٦ بلغ عدد اعضاء حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (بجناحيه البلشفي والمنشفي) ٧٠٫٠٠٠ . وفي نفس الوقت بلغ عدد اعضاء **البوند** اليهودي ٣٣٫٠٠٠ والاشتراكيين الديمقراطيين البولنديين ٢٨٫٠٠٠ والاشتراكيين

الديمقراطيين اللتوانيين ١٣٫٠٠٠ . وهكذا فقد بلغ عـدد اعضاء الاحزاب الاشتراكية اللاشرعية ١٤٤٫٠٠٠ (١) . وفي آب ١٩١٧ كان للحزب البلشفي ٢٠٠٫٠٠٠ عضوا . وبالمعدل كان في ٢٥ مدينة ما نسبته ٥٫٤ بالمئة من العمال الصناعيين اعضاء في الحزب البلشفي (٢) . لو كانت النسبة بين عدد اعضاء الحزب في صفوف الطبقة العاملة في البلدان المتقدمة ما كانت عليه في روسيا سنة ١٩١٧ او ١٩٠٥ ، لكان الحزب يضم ملايين الاعضاء .

حيث أن التفاوت في الوعي والثقافة كان أقل في البلدان المتقدمة مما كان عليه في روسيا ، فيجب ان يكون الحجم النسبي للحزب اكبر حتى مما كان عليه في روسيا. (تساهم شرعية الاحزاب العمالية ايضا في ذلك) . أن كل من يخلص الى استنتاج معاكس من الحجم **الفعلي** للاحزاب الاصلاحية فانه لا يفهم الدور الحقيقي للجماهير في النضال الثوري . ان الحزب الاصلاحي هو بشكل رئيسي جهاز لجذب الاصوات في الانتخابات البرلمانية وغيرها . وعليه فانه لا يتطلب عضوية جماهيرية نشطة حقا . وبشكل عام فان مناصري هكذا حزب لا يجدون ضرورة لان ينضموا اليه بفعالية او ان يقرأوا صحافته . بينما يجب ان يؤدي دعم الجماهير النشط لحزب ثوري الى عدد من العمال المنضمين

---

١ ـ لينين : المؤلفات المختارة ، المجلد العاشر .

٢ ـ المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الروسي البلشفي .

اكبر بكثير من العدد الحقيقي .

وبناءاً عليه ، فانه لمن الواضح ان المجموعات الصغيرة لا تستطيع بأي شكل من الاشكال ان تحل محل الحزب الثوري الجماهيري ، ناهيك عن جماهير الطبقة العاملة (١) .

والآن ماذا عن العلاقة بين الحزب الثوري والطبقة ؟

يهدف كل حزب ، اصلاحيا كان ام ثوريا ، محافظا ام ليبراليا ، ان يحصل على دعم من اجل ان يقود باتجاه هدف او آخر . والحزب العمالي الثوري ايضا يهدف ان يقود . ولكن التشابه يتوقف هنا . ان الوسائل التي تبنى بواسطتها هذه القيادة وطبيعة القيادة يختلفان كليا .

يستطيع المرء ان يتصور ثلاثة انواع من القيادة والتي سنسميها ، لغياب اسماء أفضل : قيادة الاستاذ ، وقيادة المراقب وقيادة رفيق النضال . ان النوع الاول من القيادة والذي تظهره شيع صغيرة هو «اشتراكية اللوح الاسود» (ان المثل المتطرف في بريطانيا عن هذا النوع هو الـ اس.بي.

---

١ ـ لم يكن احد في روسيا يشك بان مجموعة تروتسكي وحدها ـ المزرايونكا ـ التي كان يبلغ عدد اعضاؤها سنة ١٩١٧ ما يقارب ٤٫٠٠٠ ، كانت صغيرة جدا لدرجة لم تكن معها قادرة على التأثير في سير الاحداث . وبشكل مماثل يستطيع المرء ان يفهم تروتسكي عندما اشار سنة ١٩٢١ الى حزب العمال الشيوعي في المانيا بكونه ضئيلا : «ليس اكثر من ٣٠٫٠٠٠ ـ ٤٠٫٠٠٠ عضوا» (تروتسكي : «السنوات الخمس الاولى من الاممية الشيوعية» : المجلد الثاني ص ١٦) .

جي. بي) حيث تحل الوسائل التعليمية محل المشاركة في النضال . والنوع الثاني يتميز بعلاقات مراقب عمل ــ عامل او ضابط ــ جندي وهو الذي يطبع كل الاحزاب البيروقراطية الاصلاحية والستالينية : تجلس القيادة في «اللجنة المحلية» وتقرر ما ستخبره للعمال ليعملوه بدون مشاركة فعالة من العمال . ان ما يميز كلا من هذين النوعين من القيادة هو حقيقة أن التوجيهات تذهب باتجاه واحد فقط : يدير القادة «منولوجا» مع الجماهير .

والنوع الثالث من القيادة يمكن مقارنتها بتلك التي بين لجنة اضراب والعمال المضربين ، او مدير مصلحة وزملائه . على الحزب الثوري ان يدير حوارا مع العمال خارجه (١) ،

---

١ ــ تطرح روزا لكسمبورغ المسألة على النحو التالي : «بالطبع ، أدخلت الاشتراكية الديمقراطية عنصر الوعي الى الصراع الطبقي البروليتاري الى درجة لم يسبق لها مثيل من خلال التحليل النظري للظروف الاجتماعية لهذا الصراع ، لقد اعطت الصراع الطبقي وضوحه حول الهدف ، وخلقت للمرة الاولى تنظيما عماليا جماهيريا دائما ، وبنت بذلك عمودا فقريا صلبا للصراع الطبقي . ومهما يكن من امر ، فانه سيكون من الخطأ بشكل كارثي ان نفترض انه من الان فصاعدا قد انتقلت المبادرة التاريخية الى ايدي تنظيم الاشتراكية الديمقراطية بمفرده ، وان الجماهير/غير المنظمة من البروليتاريا قد تحولت الى شيء لا شكل له ، الى عبء على التاريخ . على العكس من ذلك ، فان الجماهير الشعبية تبقى المادة الحية في التاريخ العالمي ، حتى في ظل وجود الاشتراكية =

وعلى الحزب بالتالي ان لا يخترع تكتيكات من الهواء بل ان يعتبر واجبه الاول هو ان **يتعلم** من تجربة الحركة الجماهيرية وأن يعمم منها بعدئذ . لقد اوضحت الاحداث الكبرى في تاريخ الطبقة العاملة صحة هذا التأكيد بشكل لا يرقى اليه الشك . فقد اقام عمال باريس سنة ١٨٧١ شكلا جديدا للدولة ـ دولة بدون جيش دائم وبدون بيروقراطية حيث يتقاضى كل الموظفين معدل مرتب العامل ، مع حق اقالة كل الموظفين ... ـ **قبل** ان يبدأ ماركس بالتعميم حول طبيعة وبنية دولة عمالية . مرة اخرى ، أقام عمال بتروغراد سنة ١٩٠٥ سوفييتا باستقلال عن الحزب البلشفي ، وفي الواقع خلافا لارادة القيادة البلشفية المحلية ، وفي وجه الشك على الاقل ، ان لم يكن العداء ، من جانب لينين نفسه . ولذا فان المرء لا يستطيع الا ان يوافق روزا لكسمبورغ عندما كتبت سنة ١٩٠٤ : «ان الميزات الرئيسية لتكتيكات نضال الاشتراكية الديمقراطية «لا تخترع» ، ولكنها نتيجة سلسلة متصلة من الاعمال الخلاّقة العظيمة للصراع الطبقي الأولي. هنا ايضا يسبق اللاوعيُ الوعيَ ، ويأتي منطق العملية

= الديمقراطية ، وفقط بوجود دورة دموية بين النواة المنظمة والجماهير الشعبية ، وفقط اذا كانت نبضة واحدة تحيي الاثنين ، تستطيع الاشتراكية الديمقراطية البرهنة على انها قادرة على الاعمال التاريخية العظمى» .

التاريخية الموضوعية قبل **المنطق الذاتي لحاملها» (١) .**

ان دور الماركسيين هو تعميم التجربة الحية المتصاعدة للصراع الطبقي واعطاء تعبير واع للدافع **الغريزي** للطبقة العاملة نحو تنظيم المجتمع على اساس اشتراكي .

لان الطبقة العاملة بعيدة عن ان تكون كتلة صخرية واحدة ولان الطريق للاشتراكية ليس مرسوما، فان خلافات واسعة حول الاستراتيجية والتكتيك يمكن ، ويجب ، ان توجد في الحزب الثوري . اما البديل **فهو الحزب المبقرط او الشيعة** مع «قائدها» . وهنا لا يستطيع المرء الا ان يأسف لعبارة تروتسكي الحازمة وهي ان «أي قتال عصبوي جدّي هو دائما ، في التحليل الاخير ، **انعكاس للصراع الطبقي»** (٢) . ان هذا يفصح عن تأويل مادي مبتذل للفكر الانساني بوصفه ينبع من الاوضاع المادية مباشرة . اي ضغوطات طبقية فرقت لينين عن روزا لكسمبورغ أو تروتسكي عن لينين (١٩٠٣ ـ ١٩١٧) ؟ او اي تغير في الضغوطات الطبقية يستطيع المرء ان يرى في تعرجات بليخانوف : مع لينين سنة ١٩٠٣ وضده سنة ١٩٠٣ وضده سنة ١٩٠٥ ومعه مرة اخرى (وفي النهاية انفصل ـ وهذا صحيح ـ عن لينين والحركة الثورية وانضم الى العدو الطبقي) ؟ هل يمكن ان تشتق الاختلافات حول نظرية الامبريالية بين لينين وروزا

---

١ ـ الازمنة الحديثة ١٩٠٤ ، ص ٤٩١ .

٢ ـ تروتسكي : دفاعا عن الماركسية ص ٦٠ .

لكسمبورغ من تحليل لموقعهما في المجتمع الطبقي ؟ يجب ان تحيا الاشتراكية العلمية وتزدهر على التضارب . والعلماء الذين ينطلقون من نفس الافتراضات الاساسية ويستعملون بعدئذ نفس وسائل التحليل ، يختلفون في كل حقـــول البحث .

لكي يكون الحزب قادرا على ادارة حوار مع الجماهير ، فانه لمن الضروري ان يمتلك الحزب لا ثقةفي الطاقات الهائلة للطبقة العاملة عند الممارسة ، فحسب ، بل وأن يفهم بدقة وضع البلد وظروف الطبقة العاملة ، ماديا ومعنويا . وان اي خداع للنفس من جانب الحزب سيؤدي حتما الى انقطاع الحوار وتحوّله الى «منولوج» ممل . يجب ان يلحق الحزب بالمجموع . وهكذا يجب ان يلحق النظام الداخلي للحـزب الثوري بالعلاقة بين الحزب والطبقة . يستطيع مديـــرو المعامل ان يناقشوا عملهم سرا وبعدئذ يضعون امام العمال امرا واقعا . ولكن الحزب الثوري الذي يسعى للاطاحـــة بالراسماليةلا يستطيع ان يقبل فكرة النقاش حول السياسات في داخل الحزب بدون مشاركة جماهير العمال ــ تلـــك السياسات التي تكون بدون ذلك قد اتت «بالاجماع» جاهزة للطبقة . بما انه لا يمكن ان يكون للحزب الثوري مصالـح مختلفة عن مصالح الطبقة ، فان كل قضايا سياسة الحزب هي قضايا الطبقة ، ولذا يجب أن تطرح علنا في حضورهم . ان حرية النقاش التي توجد في اجتماع المعمل الهادف الى توحيد التحرك بعد اخذ القرارات ، يجب ان تنطبق علـى الحزب الثوري . وهذا يعني ان كل النقاشات حول قضايا

السياسة الاساسية يجب ان تجرى في وضح النهار : في الصحافة العلنية . دعوا جماهير العمال تشارك في النقاش وتمارس ضغطا على الحزب وجهازه وقيادته (١) .

فوق كل ذلك ، على الحزب الثوري ان يتبع هدى البيان الشيوعي عندما يقول : «ما هو موقف الشيوعيين بالنسبة الى مجموع البروليتاريا ؟ ان الشيوعيين لا يؤلفون حزبا خاصا معارضا لاحزاب العمال الاخرى . وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا بمجموعها . وهم لا يدعون الى مبادىء خاصة يريدون تكييف الحركة البروليتارية في قالبها . ان الشيوعيين لا يتميزون عن بقية الاحزاب البروليتارية الا في نقطتين هما :

١ ـ في النضالات التي يقوم بها البروليتاريون من مختلف الامم ، يضع الشيوعيون في المقدمة ويبرزون المصالح المستقلة عن الجنسية والعامة الشاملة لمجموع البروليتاريا .

٢ ـ في مختلف مراحل التطور التي يمر بها النضال بين البروليتاريين والبرجوازيين يمثل الشيوعيون دائما

---

١ ـ ان بعض حالات السرية مبررة ، وكل عامل سيفهم ذلك . كما ان اجتماعات المعمل تغلق دون الراسماليين وصحفييهم وعملائهم الاخرين، كذلك فان هناك لحظات في حياة حزب ثوري يجب ان تبقى سرية . ولكن على الحزب في جميع الحالات ان يكون قادرا على تبرير ذلك للعمال واقناعهم بأنه لا تخفى عنهم اي قرارات تتعلق بالسياسة .

المصالح العامة للحركة بكاملها .

فالشيوعيون هم اذن ، من الناحية العملية ، أحزم فريق من احزاب العمال في جميع البلدان وأشدها عزيمة، الفريق الذي يدفع الى الامام كل الفرق الاخرى وهم من الوجهة النظرية يمتازون عن بقية البروليتاريين بإدراك واضح لظروف حركة البروليتاريا وسيرها ونتائجها العامة».

ستمزج الطبقة العاملة **بكاملها** مستوى وعيها وتنظيمها عبر نضال طويل ، بما فيه نضال الافكار . وكما قال ماركس لثوريين امتدحوا العمال الالمان في زمنه : «بينما نقول للعمال : أمامكم خمسة عشر عاما او عشرين من الحروب البرجوازية والقومية ، ليس لمجرد ان تغيروا الظروف بل لتغيروا أنفسكم وتجعلوا أنفسكم قادرين على اخذ السلطة السياسية ، فانكم تقولون لهم عكس ذلك ، انهم يجب ان يستولوا على السلطة السياسية في الحال او يهجروا كل أمل » .

الحزب والطبقة(*)

ش. هارمان

قليلة هي المسائل التي أفرزت من المرارة في الحلقات الماركسية اكثر مما أفرزته مسألة العلاقة بين الحزب والطبقة . وحول هذا الموضوع دارت سجالات نادرة في حرارتها . وجيلا بعد جيل ، تطرح نفس المناوين — «بيروقراطي» ، «استبدالي» ، «نخبوي» ، «أتوقراطي» .
ومع ذلك فان المبادىء التي يستند اليها جدال كهذا قد

★ نشر هذا المقال بادىء الامر في مجلة الاشتراكية الامية ع ٣٥ ، شتاء ١٩٦٨ — ٦٩ .

اختلط فيها الامر ، بالرغم من اهمية القضايا المطروحة . وعلى سبيل المثال ، فان الانشقاق الذي حصل بين البلاشفة والمناشفة حول طبيعة تنظيم الحزب قد وضع كثيرا من اولئك الذين كانوا على الجانب المضاد من المتاريس للينين سنة ١٩٠٣ في جناحه سنة ١٩١٧ (بليخانوف) مثلا بينما كان ضده ثوريين من طراز تروتسكي وروزا لكسمبورغ ولم يكن الاختلاط في ألامر حدثا منعزلا . لقد كان سمة متصلة النقاش الثوري . وهي تستحق استعادة تعليقات تروتسكي، في المؤتمر الثاني للكومنترن ، ردا على جدال بول ليفي من ان جماهير العمال في اوروبا وأمريكا قد وعت الحاجة الى حزب: ويدلل تروتسكي على ان الوضع اكثر تعقيدا من ذلك بكثير : اذا طرحت المسألة بشكل مجرد «فانني عندئذ ارى شيدمان على جانب ، وعلى الجانب الاخر نقابات امريكية او فرنسية او اسبانية لا ترغب ان تقاتل ضد البرجوازية وحسب ما تريد ، خلافا لشيدمان ، الاطاحة بها ـ ولهذا السبب فانني اقول انني أفضل ان أناقش الرفاق الاسبان والامريكيين والفرنسيين لكي اثبت لهم انه لا غنى عن الحزب من اجل انجاز المهمة التاريخية الملقاة على عاتقهم ... سأحاول ان اثبت لهم هذا بطريقة رفاقية ، على اساس تجربتي الذاتية ، وليس بأن اعطيهم مثلا معاكسا عن تجربة **شيدمان** الطويلة اذ يقول بان المسألة قد حسمت بالنسبة للاغلبية ... ما هو الشيء المشترك بيني وبين شخص **كرنودل** الذي يفهم بذكاء الحاجة الى الحزب او **كألبرت توماس** وسادة آخرين لا اريد حتى ان ادعوهم «رفاقا» كي لا

أنتهك أصول اللياقة» ؟

ان الصعوبة التي يشير اليها تروتسكي (وهي ان كلا من الاشتراكيين الديمقراطيين والبلاشفة يشيرون الى «الحاجة لحزب» ، مع ان ما يعنوه بذلك هي اشياء مختلفة تماما) قد تضخمت في السنوات التي تلت ظهور الستالينية . لقد استعيرت مفردات البلشفية واستعملت لغايات متعارضة تماما مع أولئك الذين اشتقوها . وفي اغلب الاحيان ، مع ذلك، فانأولئك الذيناستمروا فيالتقاليد الثوريةبالتعارض مع كل من الستالينية والاشتراكية الديمقراطية لم يأخذوا نقاط تروتسكي سنة ١٩٢٠ على محمل الجد .

لقد اعتمدوا في الغالب على «التجربة» ليبرهنوا الحاجة الى حزب ، مع ان التجربة هي تجربة الستالينية والاشتراكية الديمقراطية .

سيكون ادّعاء هذا النقاش ، ان المناقشات التي تدور حتى في الحلقات الثورية هي ، بالنتيجة مناقشات مع او ضد المفاهيم الستالينية او الاشتراكية الديمقراطية في التنظيم ، وان نوع الآراء التنظيمية التي طوّرت ضمنيا ، في كتابات وممارسات لينين تختلف جذريا عن كل من هذين المفهومين . لقد طمست تلك الآراء من قبل التزييف الستاليني لنظرية وممارسة ثورة اكتوبر ، وحقيقة ان تطور الحزب البلشفي جرى في ظل ظروف اللاشرعية ، وغالبا ما كان يناقش لصالحه بلغة الاشتراكية الديمقراطية الارثوذكسية .

النظرة الاشتراكية الديمقراطية للعلاقة بين الحزب والطبقة

ان النظريات الكلاسيكية للاشتراكية الديمقراطيـــة ـ التي لم يتحداها من حيث الاساس اي مـــن الماركسيين قبل ١٩١٤ ـ تعطي بالضرورة الحزب دورا مركزيا فـــي التطور نحو الاشتراكية ، لانه نظر الى هذا التطور جوهريا على اساس انه يتم عبر نمو متصل وسلس لتنظيم ووعـــي الطبقة العاملة في ظل الراسمالية . حتى أولئك الماركسيون أمثال كاوتسكي ، الذين رفضوا امكانية انتقال تدريجي نحو الاشتراكية ، قبلوا ان ما هو مطلوب في الوقت الحاضر هو توسيع القوة التنظيمية والانتخابية باستمرار . لقد كان نمو الحزب ضروريا للتأكد من انه عندما يحدث التحول الحتمي نحو الاشتراكية ، سواء عن طريق الانتخابات او عن طريق العنف الدفاعي للطبقة العاملة ، سيكون قد وجد الحـــزب القادر على السيطرة وتشكيل اساس الدولة الجديدة (او القديمة بعد تجديدها) .

ويمكن ان يُنظر الى تطور حزب طبقة عاملة جماهيري كنتاج لا بد منه لاتجاهات التطور الرأسمالي . «كلما نما عدد البروليتاريين اكثر ، كلما كان جيش العاطلين عن العمـــل اضخم ، وكلمـــا كان التعارض بين المستغِلين والمستغَلين اكثر حدّة» (١) ، «وتحصل الازمات بشكل طبيعي علـــى

---

١ ـ كارل كاوتسكي ، برنامج ايرفورت ، شيكاغو ١٩١٠ ص ٨ .

نطاق متزايد» (١) ، «تغرق غالبية الشعب أعمق فأعمق في الحاجة والبؤس (٢) ، وتصبح فترات الازدهار أقصر فأقصر، وفترات الازمة اطول فأطول (٣) . وهذا يدفع بأعداد متزايدة من العمال نحو معارضة غريزية للنظام القائم (٤) . توجد الاشتراكية الديمقراطية التي تقيم نفسها على اساس بحث علمي مستقل لمفكرين بورجوازيين (٥) لترفع العمال الى المستوى الذي يكون لديهم عنده «نظرة واضحة للقوانين الاجتماعية (٦) . ان مثل هذه الحركة «النابعة من الصراعات الطبقية لن تواجه اكثر من هزائم مؤقتة ، وستنتصر حتما في النهاية (٧) . لا تصنع الثورات حسب الطلب ... انها تأتي بضرورة ضمنية» . ان الآليات المركزية المتضمنة في هذا التطور هي آليات الانتخابات البرلمانية (مع انه حتى كاوتسكي تلاعب بفكرة الاضراب العام في الفترة اللاحقة لسنة ١٩٠٥ ـ ٦) (٨) . «ليس لدينا اي سبب لنعتقد ان

---

١ ـ نفس المصدر .

٢ ـ نفس المصدر ص ٤٣ .

٣ ـ نفس المصدر ص ٨٥ .

٤ ـ نفس المصدر ص ١٩٨ .

٥ ـ نفس المصدر ص ١٩٨ .

٦ ـ نفس المصدر ص ١٩٨ .

٧ ـ كارل كاوتسكي ، طريق السلطة ، شيكاغو ، ١٩١٠ ص ٢٤ .

٨ ـ انظر كاوتسكي الثورةالاجتماعية ص٤٥، وايضا ك.ا.شورسك =

الانتفاضة المسلحة ... ستلعب دورا مركزيا في هـــذه الايام» (١) بينما «انه (اي البرلمان) هو الرافعة الاكثر قدرة التي يمكن استعمالها لاخراج البروليتاريا من انحطاطهـــا الاقتصادي والاجتماعي والمعنوي (٢) . ان استعمال الطبقة العاملة للبرلمانية يجعلها تبدأ في تغيير طابعها . انها تكف عن ان تكون مجرد أداة في أيدي البورجوازية» (٣) . وعلى المدى الطويل فان هذه النشاطات ستؤدي الى تنظيم الطبقة العاملة والى وضع يملك فيه الحزب الاشتراكي الاغلبية ويشكـــل الحكومة ... « (ان الحزب العمالي) يجب ان يضع كهدف له الاستيلاء على الحكومة لصالح الطبقـــة التي يمثلها . وسيؤدي التطور الاقتصادي بشكل طبيعي الى تحقيق هذا الهدف» (٤) . لم يضع هذا الفهم الاساس لمعظم الممارسات الاشتراكية عبر اوروبا الغربية في الاربعين سنة التي سبقت الحرب العالمية الاولى فحسب ، بل واستمر بفعالية دون تحدّ نظري من قبل اليسار على الاقل . ان دهشة لينين بسبب دعم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية للحرب معروفة

= «الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ١٩٠٥–١٩١٧»، كامبردج ، ١٩٥٥ ، ص ١١٥ .

١ ــ كاوتسكي ، مقتطف ص ٤٧ .

٢ ــ كاوتسكي ، برنامج ايرفورت ص ١٨٨ .

٣ ــ نفس المصدر ص ١٨٨ .

٤ ــ نفس المصدر ص ١٨٩ .

جيدا . وعلى اي حال ، فان ما ليس مفهوما تماما هو حقيقة انه حتى النقاد اليساريين لكاوتسكي ، مثل روزا لكسمبورغ، لم يرفضوا أسس نظرية علاقة الحزب بالطبقة ، وتطـــور الوعي الطبقي المتضمن . لقد مالت انتقاداتهم للكاوتسكية لان تبقى ضمن الارضية النظرية العامة التي وفرتها الكاوتسكية.

ان ما هو مركزي للاشتراكي الديمقراطي هو ان الحزب يمثل الطبقة . خارج الحزب ، ليس للعامل وعي . وفـي الواقع فانه يظهر ان كاوتسكي نفسه ينتابه خوف يكاد يكون مرضيا مما قد يفعله العمال بدون الحزب ، ومن الاخطـار المرتبطة بثورة «غير ناضجة» . ولذا فان الحزب هو الذي يجب ان يستولي على السلطة . يمكن لاشكال اخرى لتنظيم الطبقة العاملة ونشاطها ان تساعد ، ولكنها يجب ان تكون ملحقة بحامل الوعي السياسي . « لا يستطيع هذا «العمل المباشر» للاتحادات أن يعمل بفعالية الا كعامـــل مساعد ، وتعزيز للعمل البرلماني وليس بديلا عنه» (١) .

اليسار الثوري والنظريات الاشتراكية الديمقراطية

لا يمكن ان يكون لاي من المناقشات التي جرت حـول مسائل تنظيم الحزب فيما قبل ١٩١٧ اي معنى بدون فهم

---

١ ــ كاوتسكي : «طريق السلطة» ، ص ٩٥ .

ان نظرة الاشتراكية الديمقراطية هذه حول علاقة الحزب والطبقة لم تتحد في اي مكان بشكل سافر (الا من قبل الفوضويين الذين رفضوا اي مفهوم للحزب) وقد اخذ بافتراضاتها حتى أولئك الذين عارضوا الاشتراكية الديمقراطية الارثوذكسية من وجهة نظر النشاط الذاتي للطبقة العاملة ، مثل روزا لكسمبورغ . لم يكن هذا مجرد خطأ نظري ، بل نتج عن الوضع التاريخي . لقد كانت كومونة باريس وقتئذ التجربة الوحيدة لسلطة الطبقة العاملة. وكان ذلك لفترة شهرين فقط وفي مدينة تهيمن فيها البرجوازية الصغيرة . وحتى ثورة سنة ١٩٠٥ فانها لم تعط الا التعبير الاكثر جنينية للكيفية التي يمكن لدولة عمالية ان تنظم على اساسها في الواقع . لم تكن الاشكال الاساسية لسلطة العمال ــ السوفييتات ، مجالس العمال ــ ممحصة بعد . وهكذا لم يذكرها تروتسكي ، الذي كان رئيسا لسوفييت بتروغراد سنة ١٩٠٥ ، في تحليله لدروس ١٩٠٥ ، **نتائج وتوقعات** . وكان تروتسكي وحيدا فعلا في التنبؤ بالمحتوى الاشتراكي للثورة الروسية ، ولكنه لم يبدأ في رؤية الشكل الذي ستتخذه هذه الثورة :

«ان الثورة اولا وفي الغالب مسألة سلطة ــ وليست مسألة شكل دولة (جمعية تأسيسية ، جمهورية ، ولايات متحدة) ، ولكن مسألة المحتوى الاجتماعي للحكومة» (١) .

---

١ ــ تروتسكي في مجلة ناشي سلوفو ١٧ تشرين اول ١٩١٥ ، ورد في كتاب الثورة الدائمة لتروتسكي ص ٢٥٤ .

هناك قصور مشابه في تعليق روزا لكسمبورغ عام ١٩٠٥ : **الاضراب الجماهيري** . ولم يصبح السوفييت مركزيا في كتابات لينين وأفكاره حتى ثورة شباط (١) .

لم يقبل اليسار الثوري قط بشكل كامل موقف كاوتسكي في رؤيته للحزب كبشير مباشر للدولة العمالية . وعلى سبيل المثال ، تعترف كتابات روزا لكسمبورغ بامكانية الميل المحافظ للحزب ، والحاجة الى الجماهير لتتجاوزه وتتخطاه، من مرحلة مبكرة جدا ، لكنه لم يكن هناك قط رفض صريح للموقف الاشتراكي الديمقراطي الرسمي . ومع ذلك . فان مسألة التنظيم الداخلي الضروري للحزب لن تتضح الا بايضاح نظري للعلاقة بين الحزب والطبقة وبدون رفض النموذج الاشتراكي الديمقراطي ، لما بدأ النقاش الحقيقي حول التنظيم الثوري .

تظهر هذه الحالة بأشد الوضوح مع روزا لكسمبورغ . سيكون من الخطأ الوقوع في المصيدة (التي نصبها بدقة كل من الستالينيين وأتباع روزا لكسمبورغ **المفترضين) بأن** ننسب اليها نظرية «العفوية» التي تتجاهل الحاجة الى حزب . فهناك تأكيد عبر كتاباتها على الحاجة لحزب ،

---

١ ــ مع انه يشار الى السوفيات كـ «اجهزة السلطة الثورية» ، في مقال مهم حول الابعاد في «سوسيال ــ ديمقراط» ، سنة ١٩١٥ ، الا انها لا تتلقى الا تأكيدا طفيفا جدا لا تعد الاشارات اليها اكبر من خمسة او ستة سطور في مقال من اربع صفحات .

والدور الايجابي الذي يجب ان يلعبه :

«في روسيا ، على اي حال ، فان على الحـــــزب الاشتراكي الديمقراطي ان يعوض بجهوده الخاصة عن حقبة تاريخية كاملة . عليه ان يقود البروليتاريين الروس مـــن وضعهم «المفتّت» الحاضر، الذي يطيل عمر النظام الاتوقراطي، الى تنظيم طبقي يمكن ان يساعدهم ليعوا اهدافهم التاريخية ويهيأهم من اجل النضال لتحقيق هذه الاهداف» (١) .

«لا ينحصر واجب الاشتراكية الديمقراطية في التوجيه والتحضير التقني للاضرابات الجماهيرية ، ولكنه اولا وقبل كل شيء في القيادة السياسية للحركة بمجموعها» (٢) .

«ان الاشتراكيين الديمقراطيين هم طليعة البروليتاريا الاكثر تنورا والاكثر وعيا طبقيا . انهم لا يستطيعـــون ولا يجرؤون ان ينتظروا بشكل قدري ، مكتوفي الايدي حلول «الوضع الثوري» (٣) .

ومع ذلك ، فان هناك تورية متصلة في كتابات روزا لكسمبورغ حول دور الحزب . لقد اهتمت بأن لا يكـــون

---

١ ـ روزا لكسمبورغ : اللينينية ام الماركسية ، آن اربور ١٩٦٢ ص ٨٢ . انه لمثير للاهتمام ان لينين ، في معرض رده ، لا يركز على مسألة المركزية بشكل عام وانما على الاختلافات والاخطاء الحقيقية في مقال روزا لكسمبورغ .

٢ ـ روزا لكسمبورغ ، الاضراب الجماهيري ص ٥٧ .

٣ ـ نفس المصدر .

الدور القيادي للحزب كبيرا جدا ـ لانها عرفت ذلك ب «الموقف المتعالي للاشتراكية الديمقراطية» (١) وعرفت «المركزية» التي رأتها ضرورية على اي حال («ان الاشتراكية الديمقراطية كقاعدة ، عدوة لاي تعبير عن المحلية او الاتحادية) (٢) ب «المحافظية الكامنة في جهاز كهذا الا وهو اللجنة المركزية» (٣) . لا يمكن فهم هكذا تورية دون الاخذ بعين الاعتبار للوضع المحدد الذيكانت روزا لكسمبورغ مهتمة به حقا. لقد كانت عضوا قياديا فيالحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني ولكنها كانت دائما غير راضية عن طريقة عمله . وعندما ارادت حقا ان توضح اخطار المركزية فانها انما كانت تشير لهذا :

«ان السياسة التكتيكية الحالية للاشتراكية الديمقراطية الالمانية قد اكتسبت شهرة عالمية لانها مرنة وصلبة في نفس الوقت . ان ذلك علامة على التكيف الجيد لحزبنا مع ظروف النظام البرلماني ... وعلى اي حال ، فان نفس كمال هذا التكيف يغلق الان آفاقا واسعة امام حزبنا» .

بالرغم من هذا التنبؤ اللامع لما كان سيحدث سنة ١٩١٤ ، لم تبدأ روزا لكسمبورغ بشرح اصول التيبس والشعائرية المتزايدين في الحزب الاشتراكي الديمقراطي

---

١ ـ روزا لكسمبورغ : اللينينية ام الماركسية ص ٩٢ .

٢ ـ نفس المصدر ص ٨٥ .

٣ ـ نفس المصدر ص ٩٤ .

الالماني ، ناهيك عن الاشارة الى طرق مكافحة ذلـــك . لا تستطيع الجماعات والفرديون الواعون مقاومة هذه النزعة لان «مثل هذا القصور يعود الى درجة كبيرة الى حقيقة انه ليس كافيا تعريف الخطوط والاشكال لاوضاع سياسية غير موجودة «ضمن فراغ الافتراضات المجردة» (١) . فتبقرط الحزب يُرى كظاهرة حتمية لا يمكن التغلب عليها الا بتقليص درجة تماسك الحزب وفعاليته. ليس الشكل المحدد للتنظيم او الاتجاه الواعي بل التنظيم والاتجاه الواعي بحد ذاتهما ، هما ما يحدان من امكانيات «حركة أغلبية واعيـــة لذاتها ، اصالح الاغلبية» .

«اللاواعي يسبق الواعي ، ومنطق التاريخ يسبق المنطق الذاتي للبشر الذين يشاركون في العملية التاريخيـــة . ان الميل هو نحو ان تلعب الاجهزة الموجّهة في الحزب الاشتراكي دورا محافظا» (٢) .

ان هناك عنصرا صحيحا ومهما في وجهة النظر هذه : ميل انواع محددة من التنظيمات لتصبح غير قادرة (او غير راضية) ان تتجاوب مع وضع سريع التغير . على المرء ان يتذكر فقط الجناح المكسيمالي للحزب الاشتراكي الايطالي سنة ١٩١٩ او كل «مركز» الاممية الثانية سنـــة ١٩١٤ او الامميين المناشفة سنة ١٩١٧ او الحزب الشيوعي الالمانـــي

---

١ ــ نفس المصدر ص ٩٣ .

٢ ــ نفس المصدر ص ٩٣ .

سنة ١٩٢٣ . وحتى الحزب البلشفي حوى ميلا قويا جدا لان يظهر هكذا محافظية . ولكن روزا لكسمبورغ ، بعد ان قامت بالتشخيص ، لم تقم بأية محاولة لتحدد مصدره (الا في العموميات المعرفية) او للبحث عن وصفات تنظيمية . هناك قدرية قوية في املها بأن سيكون «اللاواعي» قادرا على تصحيح الواعي . وبالرغم من حساسيتها الرائعة نحـــو الوتيرة المعينة لتطور الحركة الجماهيرية ـ خاصة فـــي الاضراب الجماهيري ـ فانها تتهرب من محاولة تكوين مفهوم واضح عن نوع التنظيم السياسي الذي يستطيع اعداد هكذا تطورات عفوية . وبشكل متناقض ، فان هذا النقد الشديد الحدة للشعائرية البيروقراطية والعته البرلماني اللذين نوقشا في حوار ١٩٠٣ ينطبق على ذلك الجناح بالضبط من الحزب الروسي الذي كان يشكل التجسيد التاريخي المكتمل لتلك العيوب : اي على المناشفة . وفي المانيا ، لم تتخذ المعارضة السياسية للكاوتسكية (التي كانت قد تطورت مع مطلع القرن وتشكلت تماما مع ١٩١٠) أشكالا تنظيمية محددة لخمس سنوات اخرى .

هناك نقاط تشابه مهمة بين موقـف روزا لكسمبورغ والموقف الذي اتخذه تروتسكي حتى سنة ١٩١٧ ، فهـــو الآخر واع جيدا لخطر الشعائرية البيروقراطية :

«ان لعمل التحريض والتنظيم بين صفوف البروليتاريا قصور داخلي ، لقد نمّت الاحزاب الاشتراكية الاوروبية ، وخاصة اكبرها : الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالمانـــي ، قصورا يتناسب مع مقدار اعتنـــاق الجماهير الغفـــيرة

للاشتراكية ، ومقدار ما اصبحت هذه الجماهير منظمة ومنضبطة . وكنتيجة لذلك ، فان الاشتراكية الديمقراطية كتنظيم يجسّد التجربة السياسية للبروليتاريا قد تصبح في لحظة معينة عائقا مباشرا امام صدام مكشوف بين العمال والرجعية البرجوازية» (١) .

مرة اخرى ، تقوده روحه الثورية الى عدم الثقة بكل التنظيمات المركزة . ان مفهوم لينين للحزب لن يقود ، تبعا لتروتسكي سنة ١٩٠٤ ، الا الى وضع «يحل فيه تنظيم الحزب محل الحزب ككل ، وبعدئذ تحل اللجنة المركزية محل التنظيم ، وفي النهاية يحل «الدكتاتور» محل اللجنة المركزية» (٢) . ولكن بالنسبة لتروتسكي فان المشاكل الحقيقية لسلطة الطبقة العاملة لن تحل الا «عن طريق صراع منهجي بين (...) اتجاهات عدة ضمن الاشتراكية، اتجاهات ستبرز حتما عندما تطرح دكتاتورية البروليتاريا عشرات ومئات من المسائل (...) الجديدة . ليس باستطاعة اي تنظيم مستبد ان يطمس هذه الاتجاهات والمناظرات» (٣). ومع ذلك ، فان خوف تروتسكي من الجمود التنظيمي يقوده ايضا الى دعم ذلك الاتجاه في صراع الحزب الداخلي في روسيا الذي برهن تاريخيا عن كونه الاكثر تخوفا من عفوية

---

١ ـ تروتسكي : **نتائج وتوقعات** .
٢ ـ دويتشر في كتابه «النبي المسلح» ص ٩٢ـ٩٣ .
٣ ـ نفس المصدر .

الممارسة الجماهيرية . ومع انه بدأ يبتعد بشكل متزايد عن المناشفة سياسيا ، الا انه لم يبدأ ببناء تنظيم معارض لهم الا في وقت متأخر جدا . وسواء أكان محقا ام لم يكن في انتقاداته للينين سنة ١٩٠٤ ، (ونعتقد انه كان على خطأ) ، فانه لم يستطع ان يصبح عاملا تاريخيا فعالا سنة ١٩١٧ الا بانضمامه لحزب لينين .

اذا كان التنظيم يولّد فعلا بيروقراطية وقصورا فان روزا لكسمبورغ وتروتسكي الشاب كانا دون شك محقين حول الحاجة لوضع حد للتطلعات نحو المركزية والتماسك بين الثوريين . ولكن من الضروري القبول بكل عواقب هذا الموقف ، والاكثر اهمية من بينها هي قدرية تاريخية بالشكل التالي : يستطيع الافراد ان يناضلوا بين العمال من اجل افكارهم ، ويمكن لهذه الافكار ان تكون مهمة في اعطاء العمال الوعي والثقة الضروريين ليقاتلوا من اجل تحررهم ذاتهم ، ولكن الثوريين لا يستطيعون ابدا بناء تنظيم قادر على اعطائهم الفعالية والتماسك في العمل بالمقارنة مع أولئك الذين يقبلون ضمنيا بالايديولوجيات السائدة . لان ذلك يؤدي لا محالة الى وضع حد للنشاط الذاتي للجماهير ، «للاواعي» الذي يسبق «الواعي» . وتكون النتيجة حتما انتظار التطورات «العفوية» بين الجماهير . وفي الاثناء ، فانه من المحتمل ان يعمل المرء مع التنظيمات الموجودة في الوقت الحاضر ، حتى فيما لو لم يتفق معها سياسيا ، بوصفها افضل الممكن وكونها افضل تعبير حالي عن التطور العفوي للجماهير .

لينين وغرامشي حول الحزب والطبقة

هناك اعتراف ضمني دائم في كتابات لينين بالمسائل التي تثير قلق روزا لكسمبورغ وتروتسكي كثيرا . ولكن ليس هناك نفس الخضوع القدري لها . ان هناك اعترافا متزايدا بأن ليس التنظيم بحد ذاته ، بل اشكال ووجوه محددة من التنظيم ، تنميها ، وليس الا بعد ان اعطت الحرب العالمية الاولى ومن بعدها احداث ١٩١٧ تعبيرا حادا عن اخطاء الاشكال القديمة في التنظيم حتى بدا لينين يعطي اشارة واضحة للمفاهيم الراديكالية الجديدة التي كان يطوّرها هو . وحتى عندئذ لم تكن هذه المفاهيم قد طورت تماما . ان خراب الطبقة العاملة الروسية وانهيار اي نظام سوفييتي ذي معنى (اي نظام قائم على أساس مجالس عمالية حقيقية) وظهور الستالينية ، كلها قد سهلت تحوير النظرية الاشتراكية .

لقد استولت البيروقراطية التي ظهرت مع تفكك وانحطاط الطبقة العاملة على الاسس النظرية للثورة ، لتشوّهها الىايديولوجيا تبرر جرائمها ومصالحها الخاصة. وما كادت نظرة لينين لماهية الحزب وكيفية تعامله مع الطبقة ومؤسساتها ، تحدد ازاء المفاهيم الاشتراكية الديمقراطية القديمة ، حتى طمست ثانية من قبل أيديولوجيا ستالينية جديدة .

وعلى اي حال فقد اخذت كثير من مفاهيم لينين واعطيت شكلا نظريا واضحا ومتماسكا على يدي الايطالي انطونيو

غرامشي (١) :

«ان ما يتجاهله الملقون حول لينين عادة أنه يوجد عبر كتاباته مفهومين متداخلين ومتكاملين ويبـدوان **متناقضين** للمراقب السطحي . اولا ، هناك تاكيد متصل على امكانيات تحولات مفاجئة في وعي **الطبقة العاملة** ، **وعلى النهوض غير** المتوقع الذي يميز النشاط الذاتي للطبقة العاملة ، وعلـى الغرائز العميقة الجذور **في الطبقة العاملة والتي تقودها الى** البدء في رفض عادات الخنوع والاتكالية .

«في تاريخ الثورات ، تخرج للنور تناقضات نضجت على امتداد عقود وقرون ، وتصبح الحياة مليئة بالاحداث ، بشكل غير عادي ، والجماهير ، التي وقفت دائما في الظل ولذلك غالبا ما كانت محتقَرة من قبل مراقبين سطحيين ، تدخل المعترك السياسي كعناصر صدامية نشطة ... تبذل هذه الجماهير جهودا بطولية لترتفع الى مستوى المرحلـة وتضطلع بالمهام الجسام ذات المغزى العالمي التي أناطها بهـا التاريخ ، ومهما تكن الهزائم الفردية كبيرة ، ومهما كانت انهر الدم وآلاف الضحايا مدمّرة لنا ، فان ما من شيء اعظـم اهمية من هذا التدريب المباشر الذي تتلقاه الجماهـير والطبقات في مجرى النضال الثوري نفسه» (٢) .

---

١ ــ لسوء الحظ ليس هنا من متسع لمعالجة مناقشة تروتسكـي الاخيرة لهذه القضايا .

٢ ــ لينين : ايام ثورية (٣١ ، كانون ثاني ١٩٠٥) ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٨ ص ١٠٤ .

... «نستطيع ان نثمّن اهمية عمل التثقيف السياسي، البطيء والثابت والمستتر في الغالب ، الذي قام بـــه الاشتراكيون الديمقراطيون دائمـــا ، ودائما سيوجهونه ، ولكننا لن نسمح بما سيكون في الظروف الحالية اكثـــر خطورة من ذلك ـ غياب الثقة في قدرات الشعب . يجب ان نتذكر القوة التثقيفية والتنظيمية الهائلة للثورة ، عندمـــا تجبر الاحداث التاريخية الكبرى رجل الشارع على الخروج من صومعته النائية او زاوية قبوة وتجعل منه مواطنا . ان شهورا من الثورة احيانا تثقف المواطنين اسرع وأكمل مـــن عقود من الركود السياسي» (١) . «ان الطبقة العاملة هي ، غريزيا وعفويا ، اشتراكية ديمقراطية» (٢) . «يؤدي الوضع الخاص للبروليتاريا في المجتمع الرأسمالي الى نضـــال العمال من اجل الاشتراكية ؛ أن اتحادا لهم مع الحـــزب الاشتراكي سينبثق بقوة عفوية في المراحل الاولى للحركة»(٣).

وحتى في أسوأ الشهور بعد اندلاع الحرب سنة ١٩١٤، استطاع لينين ان يكتب : «ان الظرف الموضوعي الـــذي خلقته الحرب ... يثير لا محالة عواطف ثورية ، انه يهذب وينوّر كل البروليتاريين الانقى والاكثر وعيا طبقيا . ولـــم

---

١ ـ لينين : جيش ثوري وحكومة ثورية ، ص ٥٦٤ .

٢ ـ اقتطفتها رايا دونيفسكايا : «الماركسية والحرية» نيويورك١٩٥٨ ص ١٨٢ .

٣ ـ نفس المصدر .

يعد التغير المفاجىء في عواطف الجماهير امرا ممكنا فحسب، بل أصبح احتمالا متزايدا» (١) ... وفي سنة ١٩١٧ تقوده هذه الثقة بالجماهير في ابريل وفي آب ـ ايلول الى صراع مع حزبه نفسه :

«لقد قال لينين اكثر من مرة ان الجماهير تقف على يسار الحزب . وأدرك ان الحزب نفسه يقف على يسار الشريحة العليا من البلاشفة القدامى» (٢) .

وبما يختص «بالمؤتمر الديمقراطي» فقد كتب قائلا :

«يجب ان نجر الجماهير الى نقاش هذه المسألة . على العمال الواعين طبقيا ان يمسكوا هذه القضية بأيديهم هم وان ينظموا النقاش ويمارسوا ضغطا على أولئك الذين في القمة » (٣) .

وعلى اي حال ، فان هناك عنصرا اساسيا ثانيا في فكر وممارسة لينين : التأكيد على دور النظرية والحزب كحامل لها . وقد تجلى ذلك على أوضح شكل في «ما العمل ؟» عندما يكتب لينين ان «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية»(٤) ولكنها الموضوعة التي تتكرر في كل مراحل نشاطه ، ليس

---

١ ـ لينين : افلاس الاممية الثانية في المؤلفات الكاملة المجلد ٢١ ص ٢٥٧ ـ ٨ .

٢ ـ تروتسكي : تاريخ الثورة الروسية ، لندن ١٩٦٥ ، ص ٩٨١ .

٣ ـ لينين : الاعمال الكاملة المجلد ٢٦ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

٤ ـ لينين : ما العمل ؟ موسكو ص ٢٥ .

فقط سنة ١٩٠٣ ، ولكن ايضا سنة ١٩٠٥ ، ١٩١٧ ، في نفس الوقت بالضبط الذي كان يعلن فيه فشل الحزب في التجاوب مع تجذّر الجماهير . وبالنسبة اليه فان الحزب شيء مختلف جداً عن التنظيمات الجماهيرية للطبقة ككل . انه دائما تنظيم طليعي تتطلب عضويته تكرسا لا يتوفر في معظم العمال . (ولكن هذا لا يعني ان لينين اراد على الاطلاق تنظيما من ثوريين محترفين فقط (١)) . قد يبدو ذلك تناقضا واضحا وخاصة سنة ١٩٠٣ فان لينين يستخدم جدالات مأخوذة عن كاوتسكي تتضمن ان الحزب فقط يستطيع حقن الطبقة بوعي اشتراكي ، بينما يشير في وقت لاحق ألى كون الطبقة «على يسار» الحزب ، وفي الواقع ، فان رؤية تناقض هنا تعني الفشل في فهم اساسيات فكر لينين حول هذه القضايا ، لان الاساس النظري الحقيقي لمناقشته حول الحزب ليس ان الطبقة العاملة عاجزة لوحدها عن الوصول الى وعي اشتراكي نظري . هذا ما يعترف به في المؤتمر الثاني للحزب عندما ينكر ان «لينين لا يأخذ بعين الاعتبار على الاطلاق حقيقة ان العمال ايضا يشاركون في صياغة الايديولوجيا» ويضيف «لقد بالغ الاقتصاديون في تمجيد العفوية ، ولتصحيح الامور كان علينا ان نبالغ في الاتجاه المضاد ، وهذا ما فعلته» (٢) .

---

١ ـ الاعمال الكاملة ، المجلد ٧ ، ص ٢٦٣ .

٢ ـ لينين : الاعمال الكاملة المجلد ٦ ص ٤٩١ .

ان الاساس الحقيقي لمناقشته هو ان مستوى الوعي في الطبقة العاملة ليس متساويا ابدا . ومهما تكن السرعة التي تتعلم بها جماهير العمال في وضع ثوري ، الا انه سيبقى بعض فئات اكثر تقدما عن الاخرى . ان مجرد الاستمتاع بالتحول العفوي يعني القبول بدون اي نقد بالنتائج الانتقالية التي يفرزها . ولكن هذه النتائج تعكس تخلف الطبقة وحركتها الى الامام في آن واحد ، وتعكس وضعها في المجتمع البرجوازي وكذلك طاقاتها على مزيد من التطور لتصنع الثورة . ليس العمال آلات ذاتية الحركة بدون افكار . واذا لم يكتسبوا نظرة اشتراكية عالمية بتدخل الثوريين الواعين ، فانهم سيستمرون في قبول الايديولوجيا البرجوازية للمجتمع القائم . وهذا هو الاحتمال الاغلب لان هذه الايديولوجيا تطبع كل مجالات الحياة في الوقت الحاضر وتعمم بكل الوسائل . وحتى عندما يصل بعض العمال «عفويا» الى موقف علمي كامل ، فانه ما زال عليهم ان يناقشوا مع الآخرين الذين لم يصلوا بعد .

«ان نسيان التمييز بين الطليعة ومجمل الجماهير المنجذبة نحوها ، ونسيان واجب الطليعة المستمر في رفع قطاعات اوسع فأوسع الى نفس مستواها المتقدم ، يعني ببساطة خداع المرء لنفسه ، واغماض عينيه عن جسامة مهامنا وتقليص هذه المهام» (١) .

---

١ ـ نفس المصدر المجلد ٧ ص ٢٦٥ .

لا يمكن حصر هذه النظرة بحقبة تاريخية محددة ، انها ليست نظرة خاصة بالطبقة العاملة الروسية المتخلفة سنة ١٩٠٢ دون الطبقة العاملة في الامم المتقدمة اليوم ، كما يحلو للبعض ان يتصور . قد تكون الامكانيات المطلقة لنمو وعي الطبقة العاملة اعلى في البلدان المتقدمة ، لكن طبيعة المجتمع الراسمالي بحد ذاتها تستمر في تأمين تفاوت واسع ضمن الطبقة العاملة . ان انكار ذلك يعني خلط **الامكانات** الثورية للطبقة العاملة بوضعها الراهن . وكما يكتب لينين ضد المناشفة (وروزا لكسمبورغ !) سنة ١٩٠٥ :

«استعملوا سخافات أقل حول تطور النشاط المستقل العمال ـ لا يُظهر العمال نهايةللنشاط الثوري المستقل الذي لا تلاحظونه ـ لكن اهتموا بدلا من ان تفسدوا العمال غير المتطورين بذيليتكم الخاصة» (١) .

«هنالك نوعان من النشاط المستقل ، فهناك المبادرة المستقلة للبروليتاريا التي تمتلك مبادرة ثورية ، وهناك المبادرة المستقلة للبروليتاريا غير المتطورة والمحصورة بخيوط قيادية ... وهناك اشتراكيون ديمقراطيون ، لهذا اليوم ، يتأملون بخنوع النوع الثاني من النشاط ، ويعتقدون ان باستطاعتهم التهرب من جواب مباشر عن الاسئلة الملحة دوما بتكرارهم للكلمة «طبقة» مرة تلو المرة» (٢) .

---

١ ـ نفس المصدر المجلد ٨ ص ١٥٧ .

٢ ـ نفس المصدر المجلد ٨ ص ١٥٥ .

وباختصار : توقفوا عن الكلام حول ما يمكن ان تنجزه الطبقة ككل وابدأوا بالكلام حول كيف سنتصرف نحن كجزء من تطورها . كتب غرامشي : «لا توجد العفوية النقية في التاريخ . لانها لو وجدت لتطابقت مع العمل الميكانيكي النقي. وحتى في «اكثر الحركات عفوية» ، فان عناصر الاتجاه الواعي موجودة بالضرورة ... ولكن لا يستطيع في مثل هذه الحركات اي من الاتجاهات الواعية ان يسيطر على مجمل الحركة » .. (١)

لكل انسان مفهومه عن العالم ، ولا يتطور ابدا بمعزل عن جماعة ما . «وبسبب مفهومه الخاص عن العالم ينتمي دائما الى مجموعة ما ، وبالضبط الى تلك المجموعة من العناصر الاجتماعية التي تشاركه في نفس طريقة التفكير والعمل» ، وما لم يكن الانسان منهمكا في عملية نقد دائمة لنظرته للعالم من اجل ان يصل بها الى التماسك، فانه ينتمي، وبنفس الوقت ، الى العديد من التكتلات البشرية ، وتتشكل شخصيته الخاصة بطريقة غريبة . انها تحتوي على عناصر انسان المغارة ومبادىء اكثر التعليم الحديث تقدما ، وتصورات بالية عن كل الحقب التاريخية السابقة وحدوسات فلسفة مستقبلية عن جنس بشري موحد على امتداد العالم » (٢) .

---

١ ـ انطونيو غرامشي : الامير الحديث ، تورين ١٩٥١ ، ص ٥٥ .

٢ ـ انطونيو غرامشي : الامير الحديث ومقالات اخرى ، لندن ١٩٥٧ ص ٥٩ .

«يعمل الرجل النشيط من الجماهير بشكل عملي ، ولكنه لا يمتلك وعيا نظريا واضحا عن أعماله ، وعن معرفة للعالم الى الحد الذي يغيره فيه ايضا ، بل ان وعيه النظري قد يتعارض مع اعماله . نستطيع تقريبا القول أن له وعيان نظريان (او وعي واحد متناقض) أحدهما متضمن ويوحده مع كل زملائه في التحويل الفعلي للواقع والآخر شفهي وصريح بشكل زائف ورثه عن الماضي ويقبله دون نقد ... (يستطيع هذا الانقسام ان يصل الى درجة) لن يسمح له عندها التناقض الحاصل ضمن وعيه القيام بأي عمل ، او قرار او اختيار وينتج حالة من الخمول المعنوي والسياسي» (١) .

«ان كل عمل هو نتيجة ارادات متباينة ومتأثرة بدرجة مختلفة من الحدة والوعي والتجانس مع الكتلة الكاملة للارادة الجماعية ... ومن الواضح ان النظرية الضمنية المقابلة ستكون مزيجا من المعتقدات ووجهات النظر : المضطربة والمتضاربة (واذا أريد للقوى العملية المنفلتة في نقطة تاريخية معينة ان تكون) فاعلة وشاملة (فانه من الضروري) صياغة نظرية (تبعا لممارسة محددة) تسرّع العملية التاريخية في العمل ، وتجعل الممارسة اكثر انسجاما وتماسكا واكثر فعالية في كل عناصرها بالتطابق مع العناصر الحاسمة لنفس الممارسة وبالارتباط بها ... » (٢)

---

١ ـ نفس المصدر ص ٦٦ـ٦٧ .

٢ ـ انطونيو غرامشي : المادية التاريخية وفلسفة كروتشة، ص٣٨ .

وبهذا المعنى يصبح السؤال حول أفضلية «العفوية» او «الاتجاه الواعي» سؤالا عما اذا كان :

«من المفضل ان يفكر المرء دون ان يكون لديه وعـــي نقدي ، وبطريقة مفككة غير منتظمة ، وبكلمــــات اخرى ان «يشارك» في مفهوم عن العالم «مفروض» ميكانيكيا من قبل محيط خارجي ، اي من قبل احدى الجماعات الاجتماعية الكثيرة التي يرتبط بها اتوماتيكيا كـل انسان منذ الوقت الذي يدخل فيه العالم الواعي ، او انه من المفضل ان يشكل المرء مفهومه الخاص عن العالم ، بطريقة واعية نقدية» (١) .

توجد الاحزاب لتعمل في هذه الحالة على بث وجهة نظر معينة عن العالم ، والنشاط الفعلي المقابل لها ، وتحاول ان توحد معا ضمن جماعة كل أولئك الذين يشتركون في وجهة نظر معينة عن العالم ، ونشرها . انها توجد لتعطي انسجاما لكتلة الافراد المتأثرين بإيديولوجيات ومصالــــــح مختلفة . ولكنها تستطيع القيام بذلك بطريقتين .

الاولى يصفها غرامشي بطريقة الكنيسة الكاثوليكية ، وهي تسعى الى ربط طبقات وشرائح اجتماعية مختلفــــة بإيديولوجيا وحيدة ، وتسعى الى توحيد المثقفين و«الناس العاديين» بنظرة عالية منظمة وحيدة ، ولكنها لا تستطيع ذلك الا بانضباط حديدي على المثقفين يخفضهم الى مستوى «الناس العاديين» . «ان الماركسية غريبة عن هذا الموقف الكاثوليكي» . وبالمقابل فانها تسعى الى توحيــــد المثقفين

---

١ ـ غرامشي : الامير الحديث ومقالات اخرى .

والعمال من اجل رفع مستوى وعي الجماهير باستمرار ، من اجل تمكينهم من العمل المستقل حقا . لهذا بالضبط لا يستطيع الماركسيون ان «يعبدوا» عفوية الجماهير : فذلك معناه نسخ الكاثوليك في محاولتهم لفرض تخلف القطاعات الاقل تقدما على القطاعات الاكثر تقدما .

ان ذلك يعني ، بالنسبة للينين وغرامشي ، ان الحزب يحاول باستمرار جعل اعضائه الجدد يرتفعون الى مستوى فهم اعضائه الاقدم ، وعليه دائما ان يكـــــون قادرا على التجاوب مع التطورات «العفوية» للطبقة وان يجتذب تلـك العناصر التي تطور وعيا واضحا كنتيجة لتلك التطورات .

«من اجل ان نكون حزب الجماهير وليس بالاسم فقط ، علينا ان نستقطب قطاعات متزايدة من الجماهير للمشاركة في كل قضايا الحزب ، وأن نرفعها باستمرار من اللامبالاة السياسية الى الاحتجاج والنضال ، من روح احتجاجـات عامة الى تبني وجهات النظر الاشتراكية الديمقراطية ، ومن تبني وجهات النظر هذه الى دعم الحركة ، ومن الدعم الى العضوية المنظمة في الحزب» (١) .

ان الحزب القادر على انجاز هذه المهام لن يكون ، على اي حال ، الحزب «الاوسع» بالضرورة . انه سيكون التنظيم الذي تقتصر عضويته على أولئك الذين يريدون ان يثمّنوا ، جديا وعلميا ، نشاطهم الخاص ونشاط الحزب بشكل عام مع سعي دؤوب لان يجتذب الى عمله دوائر متسعة باستمرار

---

١ ـ لينين ، المؤلفات الكاملة المجلد ٧ ص ١١٧ .

من العمال . ان ذلك يعني بالضرورة ان تعريف ما هو عضو الحزب امر مهم ، فلا يتكون الحزب من اي انسان يرغب في ان يعرّف نفسه كمنتمٍ اليه ، بل فقط من أولئك الراغبين في قبول انضباط منظماته . في الاوقات الطبيعية لن تكون اعـــداد هذه المنظمات الا نسبـــة صغيرة من الطبقة العاملة ، ولكنها ستنمو في فترات النهوض بشكل لا يمكن قياسه .

يوجد هنا تعارض مهم مع الممارسة في الاحـــزاب الاشتراكية الديمقراطية . لا يدرك لينين نفسه ذلك الا الى الحد الذي يتعلق بروسيا ما قبل ١٩١٤ ، ولكن هذا الموقف واضح . فهو يعارض هدفه («تنظيم قوي حديدي حقاً») ، «حزب صغير لكن قوي» من «كل أولئك المستعدين للقتال» بـ «الجسم الفسيفسائي المتضخم للايسكرا الجديـــدة المنشفية» (١) . ان ذلك يفسر اصراره على جعل مسألـــة شروط عضوية الحزب عندما حصل الانشقاق مع المناشفة مسألة مبدئية .

يجب التمييز ضمن مفهوم لينين بين تلك العناصر التي يحرص هو نفسه على اعتبارها محدودة تاريخيا وبين تلك العناصر ذات التطبيق العام . تتعلق الاولى بالتأكيد علـــى التنظيمات التآمرية المغلقة والحاجة الى توجيه دقيق مـــن القمة حتى القاعدة من قبل مسؤولي الحزب ... الخ .

«في ظل ظروف الحرية السياسية سيبنى حزبنا كليا

---

١ ــ نفس المصدر المجلد ٨ ص ١٤٥ .

على القاعدة الانتخابية . اما في ظل الاتوقراطية فان هـذا متعذر بالنسبة للآلاف العديدة من العمال الذين يشكلـون الحزب » (١) .

اما مسألة التأكيد على الحاجة لاقتصار العضوية على أولئك الذين يقبلون انضباط الحزب فهي ذات صلاحيـة عامة ، انه لمن الضروري التأكيد على ان ذلك ليس قبولا أعمى بالسلطوية (على خلاف كثير من أتباع لينين الادعياء) . يوجد الحزب الثوري ليجعل العمال والمثقفين الاكثر وعيا وطليعية قادرين على الدخول في نقاش علمي كمقدمة لعمل متماسك ومنسجم . ان ذلك ليس ممكنا بدون المشاركة العامة فـي نشاطات الحزب ، ويتطلب وضوحا ودقة في الجدال مقرونة بالجسم التنظيمي . ان البديل هو «المستنقـع» ـ حيث العناصر المدفوعة بالدقة العلمية تختلط تماما مع أولئـك المضطربين بشكل لا شفاء منه ، مما يمنع اي عمل حاسم ويسمح بفعالية ، للاكثر تخلفا ان يقودوا . ان الانضبـاط الضروري لهكذا جدال هو انضباط أولئك الذين قد «التأموا بقرار تبنّوه بحرية» (٢) . ما لم يكن للحزب حدودا واضحة وما لم يكن متماسكا بما فيه الكفاية لتنفيذ قراراته ، فـان النقاش حول قراراته لا معنى له ، ناهيك عن كونه «حرا» . ان المركزية عند لينين بعيدة عن كونها نقيضة تطور مبادرة

---

١ ـ نفس المصدر المجلد ٨ ص ١٩٦ .

٢ ـ لينين : ما العمل ص ١١ .

واستقلال اعضاء الحزب : انها الشرط المسبق لذلك . وانه لجدير بالملاحظة كيف لخّص لينين اسباب معركته من اجل المركزية على امتداد السنتين السابقتين لسنـــة ١٩٠٥ . عندما يتكلم عن دور التنظيم المركزي والجريدة المركزية فانه يقول ان النتيجة ستكون في : «خلق شبكة من العملاء(...) الذين (...) لن يجلسوا بانتظار نداء الانتفاضة ، بل يقومون بنشاط منتظم لضمان قدر اكبر من النجاح في حال حدوث الانتفاضة. سيقوّي هكذا نشاط صلاتنا مع اوسع جماهير العمال وكل الشرائح المتذمرة،من الارستقراطية(...) ان مثل هذا النشاط بالضبط سيخدم في تنمية القدرة على تقدير الوضع السياسي العام بشكل صحيح ، وبالتالي القدرة على اختيار اللحظة الملائمة للانتفاضة . ان مثل هذا النشاط بالضبط سيمرن كل التنظيمات المحلية على التجاوب في آن واحد مع نفس المسائل السياسية والاحداث والحوادث التي تحرض روسيا بأسرها والرد على هذه «الحوادث» بأعنف وانظم وأوفر شكل ممكن .. (١)

يتدرب العامل والمثقف على حد سواء ، عن طريق كونه جزءا من هكذا تنظيم ، على تقدير وضعهم المحدد ذاته وفقا للنشاط الاشتراكي العلمي لآلاف غيرهم . يعني «الانضباط» قبول الحاجة الى ربط التجربة الفردية بنظرية وممارســة الحزب الكلية . وبهذا الشكل فانه ليس متعارضا مع القدرة

---

١ ــ لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٨ ص ١٥٤ .

على أعطاء تقييمات مستقلة للاوضاع المحددة ، بل انه شرط مسبق ضروري لذلك . ولهذا ايضا لا يعني «الانضباط» عند لينين اخفاء الاختلافات التي توجد ضمن الحزب ، بل على العكس ، عرضها في وضح النهار من اجل مناقشتها . وبهذه الطريقة فقط يمكن لجمهرة الاعضاء ان تعطي تقييمات علمية . يجب ان يكون جهاز الحزب مفتوحا امام آراء أولئك الذين يعتبرهم غير منسجمين معه .

«انه لضروري من وجهة نظرنا عمل أقصى المستطاع من اجل تمكين هذه التكتلات من طرح رأيها واعطاء الحزب بكامله فرصة تقدير اهمية او عدم اهمية تلك الاختلافات وتحديد اين يظهر عدم الانسجام وكيف وممن – حتى لو اقتضى ذلك انتهاكات معينة للقواعد الموضوعة للمركزية والطاعة المطلقة للانضباط » (١) .

وباختصار ، فان ما يهمه هو وجود صلابة ووضوح سياسي في الحزب من اجل التأكد من اشراك كل اعضائه في مجادلاته وفهمهم لموقف نشاطهم الخاص . لهذا كان من السخف الخلط بين الحزب والطبقة ، كما حاول المناشفة أن يفعلوا وكما ما زال بعض الناس يفعل . تنخرط الطبقة ككل وباستمرار في معارضة غير واعية للرأسمالية : والحزب هو ذلك الجزء الواعي منها والذي يتوحد ليحاول اعطاء اتجاه واع لنضال البقية . ليس انضباطه شيئا مفروضا من

---

١ – نفس المصدر المجلد ٧ ص ١١٦ .

القمة الى أسفل ، بل على العكس : شيء مقبول بطواعية من قبل كل أولئك الذين يشاركون في قراراته ويعملـــون لتنفيذها .

الحزب الاشتراكي الديمقراطي والحزب البلشفي والحزب الستاليني

نستطيع الان ان نرى الفارق بين الحزب كما ارتآه لينين والحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي تصوره وخانه فـي آن ، كل من روزا لكسمبورغ وتروتسكي . لقـد نظر الى الاخير كحزب لمجموع الطبقة . ووصول الطبقة للسلطة كان يعني اخذ الحزب للسلطة . وكل الاتجاهات ضمن الطبقة يجب ان تكون ممثلة فيه . وكل انشقاق فيه يفهم على انه انشقاق ضمن الطبقة ، بالرغم من الاعتراف بالمركزة كشيء ضروري الا انه نظر اليها بتخوف كمركزة فوق وضـــد النشاط العفوي للطبقة ومع ذلك فانه في هذا النوع مــن الحزب بالذات اكثر من غيره تنمو الاتجاهات «الاتوقراطية» التي حذّرت منها روزا لكسمبورغ لان الخلط ضمنه بين العضو والمؤيد وتضخم الجهاز الضروري لربط كتلة مـــن اعضاء نصف مسيَّسين في سلسلة من النشاطات الاجتماعية يقود الى تقليص الحوار السياسي وتضاؤل الوعي السياسي الذي يعين بدوره قدرة الاعضاء على اعطاء تقييمات سياسية مستقلة ، ويزيد الحاجة الى المشاركة التي يحفزها الجهاز، بدون مركزة تنظيمية هادفة الى اعطاء الوضوح والحسم في

الاختلافات السياسية ، يتحكم على استقلال جمهرة الاعضاء بأن يكون مهددا على الدوام ، وتصبح روابط التعلق الشخصي والتبعية لقادة ثابتين اكثر اهمية من التقييم السياسي العلمي . في المستنقع حيث لا يتخذ احد طريقا واضحا ، حتى لو كان خاطئا ، فليس من نقاش عندئذ حول اي هو الطريق الصحيح . ان رفض اقامة العلاقة بين الروابط التنظيمية والتقييمات السياسية ، حتى لو كان بنية حسنة في الحفاظ على «حزب جماهيري» ، يقود بالضرورة الى ولاءات تنظيمية محل الولاءات السياسية ، وهذا بدوره يحتم الفشل في العمل بشكل مستقل ، في حال معارضة الزملاء القدامى (أوضح مثل على هذا الاتجاه كان دون شك مارتوف سنة ١٩١٧) .

انه لمن الضروري فهم ان الحزب الستاليني ليس مجرد طبعة مختلفة من الحزب البلشفي . فهو الآخر تحكمه بنى تنظيمية : التقيد بالتنظيم اكثر من سياسات التنظيم ذي العلاقة ، واستخدام النظرية لتبرير ممارسة قررت خارجيا، وليس العكس ، والولاءات التنظيمية للجهاز مسؤولة عن القرارات السياسية (الاولى مرتبطة بدورها بحاجات جهاز الدولة الروسي) . انه لمن الجدير ملاحظة ان نصرا حقيقيا للجهاز على الحزب في روسيا قد تتطلب بالضبط ادخال مئات الآلاف من «المؤيدين» الى الحزب ، تخفيف «الحزب» «بالطبقة» . يمكن الاعتماد على «فوج لينين» ، الذين هم في احسن الاحوال غير واثقين من انفسهم سياسيا ، ان ينقاد مع الجهاز . لم يعانِ الحزب اللينيني من هذا الاتجاه نحو

التسيير البيروقراطي لانه بالضبط يحصر عضويته بأولئك الراغبين في ان يكونوا جدّيين ومنضبطين بما فيه الكفاية لاخذ القضايا **السياسية والنظرية** كنقطة ابتداء لهم ، وان يلحقوا نشاطاتهم بهذه القضايا .

ولكن الا يتضمن ذلك مفهوما نخبويا جدا للحزب ؟ بمعنى ما ، اجل ، مع ان هذا ليس خطأ الحزب بل خطأ الحياة ذاتها التي تنمي تطورا غير متساوٍ في وعي الطبقة العاملة . حتى يكون الحزب فعالا عليه ان يهدف الى تجنيد كل أولئك الذين يراهم اكثر «تقدما» . انه لا يستطيع ان يخفض مستوى علمه ووعيه لمجرد ألا يكون «نخبة» . فالحزب لا يستطيع ، على سبيل المثال ، ان يقر بأن العمال الشوفينيين هم «بمثل جودة اعضاء الحزب الامميين ، لكي يأخذ في الحسبان «النشاط الذاتي» للطبقة . ولكن ان يكون المرء «طليعة» ليس مثل ان يستبدل رغباته وسياساته ومصالحه الخاصة بتلك التي للطبقة .

من الضروري هنا ان نرى ان الحزب عند لينين ليس جنين الدولة العمالية ـ مجلس العمال هو الجنين . ستنخرط الطبقة العاملة ككل في التنظيمات التي تشكل دولتها ، العناصر الاكثر تخلفا والعناصر الاكثر تقدما على حد سواء . «كل طبّاخ سيحكم» . في مؤلف لينين الرئيسي حول الدولة ، ليس الحزب مذكورا الا لماما . ليست وظيفة الحزب ان يكون الدولة ، بل القيام بتحريض ودعاية متصلين بين العناصر الاكثر تخلفا من الطبقة من اجل رفع وعيهم واعتمادهم على الذات الى الحد الذي يقيمون فيه مجالس

العمال ، ويقاتلون للاطاحة بأشكال تنظيم الدولة البرجوازية في آن واحد . ان الدولة السوفييتية هي التجسيد المادي الارقى للنشاط الذاتي لمجموع الطبقة العاملة ، وما الحزب الا ذلك الجزء من الطبقة الذي يعي اكثر من غيره التطبيقات التاريخية العالمية لهذا النشاط الذاتي .

يجب ان تكون وظائف الدولة العمالية ووظائف الحزب مختلفة تماما (لهذا يمكن ان يكون هنالك اكثر من حزب في الدولة العمالية) . على الدولة ان تمثل كل المصالح المتباينة لكل الاجزاء ــ الجغرافية ، الصناعية .. الخ من العمال ، وعليها ان تعترف في شكل تنظيمها بكل عدم انسجام الطبقة. يبنى الحزب ، على الجانب الآخر ، حول تلك الاشياء التي توحد الطبقة قوميا وأمميا . وهو يهدف على الدوام بالاقناع الايديولوجي ، الى التغلب على عدم تجانس الطبقة ، ويهتم بالمبادىء السياسية القومية والاممية ، وليس من اهتمامات ضيقة للمجموعات الفردية من العمال . انه يستطيع فقط ان يقنع هؤلاء بقبول قيادته ، لا ان يرغمهم . لا يستطيع الحزب الذي يهتم بالمشاركة في الاطاحة الثورية بالرأسمالية من قبل الطبقة العاملة ان يرتأي ابدال اجهزة السيطرة المباشرة للطبقة بسيطرته هو . **ان هكذا مفهوم متوفر فقط** عند حزب اشتراكي ديمقراطي او ستاليني (ولم يحاول كلاهما تحقيق هذا الاستبدال عبر الممارسة الثورية في البلدان الرأسمالية بسبب خوفهما من **النشاط الذاتي** للجماهير) . بوجوده تحت ظل الرأسمالية ، سيكون للتنظيم الثوري بالضرورة بنية مختلفة تماما عن بنية الدولة العمالية

التي ستظهر في عملية الاطاحة بالرأسمالية(١) . سيكون على الحزب الثوري ان يناضل ضمن **مؤسسة الدولة العمالية** ، من اجل مبادئه وضد تلك المبادىء المتعارضة معها ، وهذا ممكن فقط لانه هو نفسه ليس الدولة العمالية (٢) .

ان هذا يمكننا من رؤية ان نظرية لينين عن الحزب ونظريته عن الدولة ليستا وحدتين منفصلتين ، يمكن معالجة احديهما بمعزل عن الاخرى ، والى ان طوّر لينين نظريته عن الدولة كان ميالا لان يعتبر الحزب البلشفي كتكيف خاص بالاوضاع الروسية . باعتبار المفهوم الاشتراكي الديمقراطي (ولاحقا الستاليني) للحزب الذي يصبح الدولة ، فان

---

١ ـ من اجل وجهة نظر معاكسة وفجّة ، انظر : رسالة مفتوحة الى رفاق «الاممية الاشتراكية» .

٢ ـ يكتنف هذا النص بعض الغموض بسبب تجربة روسيا بعد ١٩١٨ . وعلى اي حال ، فان النقطة المهمة هي ان ليس **شكل** الحزب هو الذي يفرز سلطة الحزب بالتعارض مع السلطة السوفييتية ، ولكنه بعد الطبقة العاملة . (انظر هاريمان : كيف ضاعت الثورة الاممية الاشتراكية») . يبرز **كليف** هذه النقطة في مقاله : تروتسكي حول الاستبدالية ، ولكن لسبب غير معروف فانه يقول ايضا ان ادعاءات تروتسكي الاولى بشأن نظرية لينين في التنظيم كانت «استبدالية» ، «يستطيع المرء بعبقريته التنبؤية ، وقدرته على النظر الى الامام ، ليضع في نظام موحد كل أوجه الحياة (هذا المقال موجود ضمن هذا الكتاب) . ـ الكاتب ـ

الشيء الطبيعي الوحيد بالنسبة للثوريين الاصليين وبالتالي الاشتراكيين الديمقراطيين ان لا يريدوا حصر الحزب بالشرائح الاكثر تقدما من الطبقة ، حتى في حال الاعتراف بالحاجة الى هكذا تنظيم طليعي . ان هذا يفسر غموض روزا لكسمبورغ حول مسألة التنظيم السياسي والوضوح النظري. وهو يمكنها لان تعارض «الاخطاء المقترفة من قبل حركة ثورية حقا» ب «عصمة أذكى لجنة مركزية» . ولكن اذا كان الحزب ومؤسسات سلطة الطبقة شيئين متمايزين (مع ان كلا منهما يسعى للتأثير في الآخر) فان «عصمة» أحدهما هي عنصر مركزي في العملية التي يتعلم بها الآخر من أخطائه . ان لينين هو الذي يرى ذلك . ان لينين هو الذي يستنتج الدروس وليس روزا لكسمبورغ (على الاقل حتى أواخر حياتها) . ليس صحيحا انه «بالنسبة للماركسيين في البلدان الصناعية المتقدمة يصلح موقف روزا لكسمبورغ كدليل عملي اكثر من موقف لينين بما لا يقاس» (١) . ان الحاجة ما زالت قائمة لبناء تنظيم من ماركسيين ثوريين يعرّضون وضعهم ووضع الطبقة ككل لتفحص علمي ، وينقدون دون رحمة أخطاءهم هم ، ويحاولون ان ينمّوا النشاط الذاتي المستقل لجمهرة العمال ، بينما هم ينخرطون في نضالاتهم اليومية ، عن طريق معارضتهم ، دون فتور ،

---

١ ــ كليف : «روزا لكسمبورغ» ، ص ٥٤ . هنا مرة اخرى يبدو ان رغبة كليف في تكريم ثوري عظيم تتغلب على تقييمه العلمي الاصيل .

لخضوعهم الايديولوجي والعملي للمجتمع القديم. ان رد فعل ضد تعريف الاشتراكية الديمقراطية والستالينية للحزب والطبقة هو امر صحي ويجب ان لا يمنع هذا مفهوما واضحا حول ما يجب ان نعمله للتغلب على تركتهم .

الطبقة والحزب والقيادة(*)

ليون تروتسكي

يمكن تقدير المدى الذي تخلفت فيه حركة الطبقة العاملة ليس فقط بأوضاع التنظيمات الجماهيرية ، بل وأيضا بالتجمعات الايديولوجية وتلك الدراسات النظرية التي تنهمك فيها مجموعات كثيرة جدا . تصدر في باريس مجلة «ما العمل ؟» التي تعتبر نفسها لسبب ما ماركسية ولكنها تبقى تماما في الواقع ضمن اطار تجريبية المثقفين البرجوازيين

★ وجدت هذه المخطوطة بين اوراق تروتسكي بعد اغتياله وطبعت في شكل مقال غير مكتمل .

اليساريين وأولئك العمال المعزولين الذين تمثلوا كل رذائل المثقفين .

وككل المجموعات التي تفتقر الى الاساس العلمي ، وبدون برنامج او تقاليد ، حاولت هذه المجلة الصغيرة ان تتعلق بأذيال الحزب العمالي للوحدة الماركسية ـ الذي يظهر انه فتح اقصر جادة نحو الجماهير والنصر . ولكن هذه الروابط مع الثورة الاسبانية تبدو لاول وهلة غير متوقعة ابدا : لم تتقدم المجلة ، بل على العكس ، تراجعت . وفي حقيقة الامر فان هذا كليا من طبيعة الامور . لقد تطورت التناقضات بين محافظية البرجوازية الصغيرة وحاجات الثورة البروليتارية الى الحد الاقصى . وان الشيء الطبيعي الوحيد هو ان المدافعين عن سياسة الحزب العمالي للوحدة الماركسية ومفسّريها قد وجدوا انفسهم وقد تخلفوا كثيرا في كلا الحقلين : السياسي والنظري .

ليس لمجلة (ما العمل ؟) ، في ذاتها ولذاتها ، اية اهمية مهما كانت . لكنها تجوز على الاهتمام لدلالتها . لهذا السبب نعتقد انه من المفيد الخوض في تقدير هذه المجلة لاسباب انهيار الثورة الاسبانية ، الحد الذي يكشف فيه هذا التقدير ، بشكل بياني تماما ، الملامح الاساسية التي تسود الان في الجناح اليساري من الماركسية ـ المزيفة .

نبدأ بمقتطف حرفي من مراجعة لكراس «خيانة اسبانيا» Spain Betrayed بتساؤل فيه للرفيق كازانوفا : «لماذا سحقت الثورة ؟» ويجيب الكاتب (كازانوفا) : «لان الحزب الشيوعي اتبع سياسة خاطئة تبعتها لسوء الحظ

الجماهير الثورية» . ولكن لماذا ، بحق الشيطـان ، التفّت الجماهير الثورية ، التي تركت قادتها السابقين ، حول لواء الحزب الشيوعي ؟. «لانه لم يكن هنالك حزب ثوري حقا» . اننا امام لغو واضح : سياسة خاطئة للجماهير ، حزب غير ناضج اما انه يعبر عن وضع معين للقوى الاجتماعية (عـدم نضج الطبقة العاملة ، غياب استقلال الفلاحين) والذي يجب تفسيره انطلاقا من الوقائع ، وتقديمها للآخرين من كازانوفا نفسـه ، أو انه محصّلة عمل أفراد او مجموعات أفراد خبثاء؛ أفعال لا تتوافق مع جهود «الافراد المخلصين» القادريـــن وحدهم على انقاذ الثورة . بعد تلمس الطريق الماركســـي والاول ، يسلك كزانوفا الثاني ، لقد قادنا الى منطقـــة الشيطانية البحتة : المجرم المسؤول عن الهزيمة هو الشيطان الرئيسي ستالين ، بالتواطؤ مع الفوضويين وكل الشياطين الصغار الأخر ، ولم يرسل إله الثوريين لسوء الحظ (لينين) او (تروتسكي) الىاسبانيا كما فعل في روسيا سنة١٩١٧ . ويتبع بعدئذ الاستنتاج التالي : «هذا ما ينتج عن السعي بأي ثمن الى فرض الارثوذكسية المتحجرة لكنيسة ما على الوقائع» . لقد أصبح هذا التعالي النظري اكثر بروزا من خلال حقيقة انه من الصعب تخيّل كم هو ضخم عـــدد الاشياء التافهة والسفالات والاخطاء ، وعلى الاخص مـــن النوع الهمجي المحافظ ، التي يمكن حفظها في سطور قليلة.

يتجنب كاتب المقتطف الوارد أعلاه اعطاء اي تفســير لهزيمة الثورةالاسبانية ، انما يشير فقط الى أن التفسيرات العميقة ، مثل «وضع القوى الاجتماعية» ، هي ضرورية .

ان التهرب من اي تفسير ليس عرضيا . ان نقّاد البلشفية هؤلاء كلهم جبناء نظريون ، للسبب البسيط وهو عدم وجود شيء صلب تحت أقدامهم . ومن اجل أن لا يكشفوا عن فسادهم فانهم يلفقون الوقائع ويحومون حول أفكار الآخرين ويقتصرون على التلميحات وأنصاف الافكار وكأنه ليس لديهم الوقت ليعرضوا حكمتهم كاملة . وفي الحقيقة فانه ليس لديهم من حكمة مطلقا . ان ترفّعهم هذا مشبع بشعوذة ثقافية .

لنحلّل خطوة خطوة تلميحات وانصاف أفكار كاتبنا . بالنسبة اليه لا يمكن تفسير سياسة الجماهير الخاطئة الا كسياسة «تعبر عن وضع معين للقوى الاجتماعية» ، وبالتحديد عدم نضج الطبقة العاملة وغياب استقلال الفلاحين . ان من يبحث عن لغوٍ لا يستطيع ان يجد لغوا اكثر صراحة من هذا . تفسر «سياسة الجماهير الخاطئة» ب «عدم نضج» الجماهير . ولكن ما هو «عدم نضج» الجماهير ؟ من الواضح انه نزوعها نحو السياسات الخاطئة. مم تشكلت السياسة الخاطئةومن كان المبادر اليها: الجماهير ام القادة ـ هذا ما يقفز عنه كاتبنا بسكوت . بواسطة اللغو يضع المسؤولية على عاتق الجماهير. هذه الحيلة الكلاسيكية لكل الخونة والمتساقطين ومفوضيهم تثير القرف والاشمئزاز، وخاصة فيما يتعلق بالبروليتاريا الاسبانية .

في تموز سنة ١٩٣٦ ـ دون الاشارة الى فترة سابقة ـ قاوم العمال الاسبان هجوم الضباط الذين أعدّوا مؤامرتهم تحت حماية «الجبهة الشعبية» . شكلت الجماهير على عجل

ميليشيا ، وشكلت لجان العمال : قلاع دكتاتوريتها في المستقبل . وعلى الجانب الآخر ، ساعدت المنظمات القيادية للبروليتاريا ، البرجوازية على تحطيم هذه اللجان وتصفية هجمات العمال على الملكية الخاصة واخضاع ميليشيا العمال لقيادة البرجوازية ، واكثر من ذلك ، مع مشاركة الحزب العمالي للوحدة الماركسية في الحكومة وتحمل مسؤولية مباشرة في عمل الثورة المضادة هذا. ماذا يعني «عدم نضج» البروليتاريا في هذه الحالة ؟ من البديهي انه لا يعني الا : بالرغم من الخط السياسي الصحيح الذي اختارته الجماهير، الا انها لم تكن قادرة على سحق أئتلاف الاشتراكيين والستالينيين والفوضويين والحزب العمالي للوحدة الماركسية مع البرجوازية . تأخذ هذه القطعة من السفسطة كنقطة انطلاق لها مفهوما ذا نضج مطلق ، الا وهو : وضع ملائم جدا للجماهير حيث لا حاجة بها الى قيادة صحيحة واكثر من ذلك انها قادرة على الانتصار ضد قيادتها ذاتها . ليس هنالك ، ولا يمكن ان يكون ، نضج كهذا .

يعترض حكماؤنا متسائلين : ولكن لماذا يسلم العمال الذين يظهرون هكذا غريزة ثورية صحيحة وهكذا مواصفات قتالية راقية لقيادة خائنة ؟ وجوابنا هو : لم يكن هناك حتى مجرد تلميح بالتسليم . ان خط مسيرة العمال قد قطع في كل الاوقات زاوية معينة مع خط القيادة ، وفي اللحظات الاشد حرجا اصبحت هذه الزاوية ١٨٠ درجة وساعدت القيادة بعدئذ ، بشكل مباشر او غير مباشر ، على اخضاع العمال بالقوة المسلحة .

في أيار ١٩٣٧ ، انتفض عمال كتالونيا ليس بدون قيادتهم ذاتها فحسب بل وضدها ايضا . لقد كرر القادة الفوضويين (وهم برجوازيون انذال مثيرون للعواطف يتنكرون برخص في زي ثورويين) مئات المرات في صحافتهم ان الاتحادية القومية للعمال ارادت الاستيلاء على السلطة واقامة دكتاتوريتها في ايار ، وكان باستطاعتها ذلك دون اية مشقة . يقول القادة الفوضويون هذه المرة الحقيقة غير المغشوشة .

لقد تخلفت قيادة الحزب العمالي للوحدة الماركسية فعلا في ذيل الاتحادية القومية للعمال ، وكل ما فعلوه انهم غلّفوا سياستهم بلفظية مختلفة وكان (شكرا لهذا ، وهذا وحده) ان البرجوازية نجحت في سحق انتفاضة ايار التي قامت بها البروليتاريا «غير الناضجة» . يجب ان لا يفهم المرء اي شيء على الاطلاق في جو العلاقات المتبادلة بين الطبقة والحزب ، بين الجماهير والقادة ، لكي يكرر القول الفارغ بأن الجماهير الاسبانية تبعت (مجرد تبعية) قادتها . ان الشيء الوحيد الذي يمكن قوله هو ان الجماهير التي سعت في كل الاوقات الى شق طريقها في الاتجاه الصحيح لم تجد قيادة جديدة تتوافق ومتطلبات الثورة . امامنا عملية ديناميكية عميقة ، المراحل المختلفة للثورة تتناوب بسرعة ، والقيادة او أجزاء مختلفة منها تنتقل بسرعة الى جانب العدو الطبقي ، وحكماؤنا ينهمكون في نقاش ستاتيكي خالص : لماذا تبعت الطبقة العاملة ، ككل ، قيادة سيئة ؟

هنالك مثل قديم ، تطوري ليبرالي ، يقول : يحصل

كل شعب على الحكومة التي يستحقها . على ان التاريخ قد بيّن ان نفس الشعب قد يحصل في مجرى حقبة قصيرة نسبيا على حكومات مختلفة تماما (روسيا ، ايطاليا ، المانيا، اسبانيا .. الخ) وأكثر من ذلك فان نظام هذه الحكومات لا يسلك على الاطلاق اتجاها واحدا وحيدا : من الطغيان الى الحرية ، كما تخيل الليبراليون التطوريون . وهذا هو السر: ان الشعب يتكون من طبقات متعادية ، وتتكون الطبقات نفسها من شرائح مختلفة ومتناقضة جزئيا وتقع تحت قيادة مختلفة ، بالاضافة الى ان كل شعب يقع تحت تأثير الشعوب الاخرى التي تتكون بالمثل من طبقات . لا تعبر الحكومات عن «النضج» المتنامي منهجيا «لشعب» ، ولكنها نتاج الصراع الحاصل بين الطبقات المختلفة والشرائح المختلفة ضمن نفس الطبقة ، وأخيرا نتاج عمل القوى الخارجية ـ التحالفات والحروب وما شابه . يجب أن يضاف لما سبق ان حكومة ، بعد ان تكون قد اقامت نفسها، قد تستمر اطول بكثير من علاقة القوى التي انتجتها . من هذا التناقض التاريخي تخرج الثورات والانقلابات والثورات المضادة .. الخ .

من الضروري اللجوء الى نفس الاسلوب الجدلي في معالجة مسألة قيادة طبقة ما . يقبل حكماؤنا ضمنا البديهية القائلة ان كل طبقة تحصل على القيادة التي تستحقها . وفي الواقع ان القيادة ليست على الاطلاق مجرد «انعكاس» لطبقة او نتاج لابداعيتها الحرة . تتشكل القيادة عبر عملية صدامات بين الطبقات المختلفة او احتكاك بين الشرائح

المختلفة ضمن طبقة معينة . وحالما تظهر القيادة فانها تعلو باستمرار فوق طبقتها وتصبح بذلك معرضة لضغط وتأثير الطبقات الاخرى . قد «تتحمل» البروليتاريا لمدة طويلة قيادة تعاني انحطاطا داخليا كاملا ، ولكنها لم تُعط بعد فرصة اظهار هذا العجز وسط الاحداث الكبرى . ان هزة تاريخية كبيرة لشيء ضروري للكشف بحدة عن التناقض بين القيادة والطبقة ، والهزات التاريخية الاعظم هي الحروب والثورات . لهذا السبب بالضبط غالبا ما تأخذ الطبقة العاملة على حين غرة بالحرب والثورة . ولكن حتى في الحالات التي تكون فيها القيادة قد اظهرت فسادها الداخلي لا تستطيع الطبقة ان تفرز قيادة جديدة فورا ، وخاصة اذا لم ترث عن الحقبة السابقة كوادر ثورية قوية قادرة على استخدام انهيار الحزب القائد القديم . لا يَبقِ التفسير الماركسي ، اي الجدلي وليس المدرسي ، للعلاقة المتبادلة بين الطبقة وقيادتها حجرا واحدا من سفسطة كاتبنا الشرعوية دون ان يقلبه .

انه يرى نضج البروليتاريا كشيء سكوني (ستاتيكي) تماما ، مع ان وعي طبقة ، خلال الثورة ، هو العملية الاكثر ديناميكية والتي تحدد بشكل مباشر مجرى الثورة . هل كان من الممكن في كانون الثاني ١٩١٧ ، وحتى في آذار ، بعد الاطاحة بالقيصرية ، اعطاء جواب حول ما اذا كانت البروليتاريا الروسية قد «نضجت» بما يكفي للاستيلاء على السلطة خلال ثمانية الى تسعة اشهر ؟ لقد كانت الطبقة العاملة في ذلك الوقت غير متجانسة على الاطلاق اجتماعيا

وسياسيا ، وقد جُدّدت اثناء سنوات الحرب بنسبة ٣٠ - ٤٠ بالمئة من صفوف البرجوازية الصغيرة (التي غالبا ما كانت رجعية) وعلى حساب الفلاحين المتخلفين ، والنساء والشباب . ولم يتبع الحزب البلشفي في آذار ١٩١٧ سوى اقلية لا تذكر من الطبقة العاملة ، واكثر من ذلك كان هناك نزاع ضمن الحزب نفسه . ودعمت الاغلبية الساحقة من العمال المناشفة و«الاشتراكيين الثوريين» ، اي الوطنيين الاشتراكيين المحافظين . لقد كان الوضع أقل ملاءمة حتى من ذلك بما يختص بالجيش والفلاحين . يجب ان نضيف لهذا : المستوى الثقافي العام المنخفض في البلد ، وغياب التجربة السياسية بين الشرائح الاوسع من البروليتاريا ، خاصة في المقاطعات ، ناهيك عن الفلاحين والجنود .

ماذا كان رصيد البلشفية ؟ لم يكن أحد يمتلك مفهوما ثوريا واضحا ومدروسا بامعان في بداية الثورة غير لينين . كانت كوادر الحزب الروسية مبعثرة ، والى درجة لا بأس بها ، ضائعة ، ولكن كان للحزب سلطة بين العمال المتقدمين، وكان للينين سلطة فائقة بين كوادر الحزب . وكان مفهوم لينين السياسي يتوافق مع التطور الفعلي للثورة ، ويترسخ مع كل حدث جديد . ان عناصر الرصيد هذه فعلت العجائب في وضع ثوري ، الا وهو ظروف الصراع الطبقي الحاد . وعدّل الحزب سياسته بسرعة لتتوافق مع مفهوم لينين ، اي لتتوافق مع المجرى الفعلي للثورة . ولحسن الحظ فقد قوبلت بدعم لا يتزعزع بين عشرات الآلاف من العمال المتقدمين . وخلال بضعة شهور استطاع الحزب ان يقنع

غالبية العمال بصحة شعاراته مقيما نفسه على اساس تطور الثورة ، واستطاعت تلك الاغلبية ، منظمة في السوفياتات، بدورها ان تجذب الجنود والفلاحين . كيف يمكن استنفاذ هذه العملية الجدلية الديناميكية بواسطة قانون حول نضج او عدم نضج البروليتاريا ؟ لقد كان لينين عاملا اساسيا في نضج البروليتاريا الروسية في شباط او آذار ١٩١٧ . انه لم يهبط من السماء . وانما جسَّد التقاليد الثورية للطبقة العاملة . ومن اجل ان تجد شعارات لينين طريقا الى الجماهير كان لا بد من وجود كوادر ، حتى لو كانت قليلة العدد في البداية ، وكان لا بد من وجود ثقة الكوادر في القيادة ، ثقة قائمة على اساس تجربة الماضي بكاملها . ان حذف هذه العناصر من حسابات المرء يعني ببساطة تجاهل الثورة الحية واستبدالها بتجريد «علاقة القوى» ، لان تطور الثورة يتكون بالضبط مما يلي : تتغير علاقة القوى على الدوام وبسرعة تحت تأثير التغيرات الحاصلة في وعي البروليتاريا ، وجذب الشرائح المتقدمة للمتخلفة والثقة المتنامية للطبقة في قوتها الخاصة . ان النابض الحيوي في هذه العملية هو الحزب ، تماما كما أن النابض الحيوي في ميكانيزم الحزب هو قيادته . ان دور ومسؤولية القيادة هائلان في حقبة ثورية .

ان انتصار اكتوبر هو شهادة جدّية على «نضج» البروليتاريا . ولكن هذا النضج نسبي . وبعد سنوات قليلة سمحت البروليتاريا ذاتها بخنق الثورة علىأيدي بيروقراطية برزت من صفوفها . ليس النصر على الاطلاق فاكهة ناضجة

لـ «نضج» البروليتاريا . ان النصر مهمة استراتيجية . وانه لمن الضروري استعمال ذلك من اجل تعبئة الجماهير؛ آخذين كنقطة أبتداء المستوى المعيّن لنضجها ، من الضروري دفعها الى الامام وتعليمها ان تفهم ان العدو ليس كلي الجبروت بأي شكل من الاشكال ، وأنه ممزق مشطور بالتناقضات ، وانه خلف الواجهة الجليلة يسيطر الهلع . لو ان الحزب البلشفي فشل في القيام بهذا العمل لما كان بالمستطاع حتى الكلام عن انتصار الثورة البروليتارية ، ولكانت السوفياتات قد سنحقت من قبل الثورة المضادة ولكان صغار الحكماء في كل البلدان قد كتبوا مقالات وكتبا حول النغمة التي تردد انه لا يستطيع احد في روسيا ان يحلم بدكتاتورية البروليتاريا الا التخيثليون المنعزلون ، وهم غاية في الصغر عدديا وغاية في عدم النضج .

ان الاشارة الى «غياب استقلال» الفلاحين هي بنفس الدرجة من التجريد والتحذلق والزيف . متى وأين على الاطلاق لاحظ حكماؤنا فلاحين في مجتمع راسمالي يمتلكون برنامجا ثوريا مستقلا او قدرة على المبادرة الثورية المستقلة؟ يستطيع الفلاحون ان يلعبوا دورا كبيرا جدا في الثورة ، ولكنه ليس أكثر من دور مساعد .

في كثير من الحالات ، تصرف الفلاحون الاسبان بجرأة وقاتلوا بشجاعة ، ولكن من اجل ان تستثير البروليتاريا جمهرة الفلاحين فان عليها ان تعطي مثالا على انتفاضة حاسمة ضد البرجوازية وتلهم الفلاحين بالثقة في أمكانية الانتصار ـ على انه في تلك الاثناء ، كانت المبادرة الثورية

للبروليتاريا ذاتها مشلولة في كل خطوة بواسطة تنظيماتها نفسها .

ليس «عدم نضج» البروليتاريا و«غيـــاب استقلال» الفلاحين عاملين نهائيين او اساسيين في الاحداث التاريخية . فوراء وعي الطبقات توجد الطبقات ذاتها ، قوتها العددية ودورها في الحياة الاقتصادية ، ووراء الطبقات يوجد نظام معين للانتاج يحدده مستوى تطور القوى المنتجة . لماذا لا نقول اذن ان هزيمة الثورة الاسبانية حددها المستــــوى المنخفض للتكنولوجيا ؟

يضع كاتبنا الحتمية الميكانيكية محل التكيّف الجدلي للعملية التاريخية . من هنا كانت التهكمات الرخيصة حول دور الافراد ، جيدا كان ام سيئا . ان التاريخ عملية صراع طبقي . لكن الطبقات لا ترمي بثقلها كامــــلا في المعركة ، اوتوماتيكيا وفي آن واحد . في عملية الصراع، تخلق الطبقات اجهزة مختلفة تلعب دورا مهما مستقلا وتكون عرضـــــة للتشويهات . ان هذا ايضا يوفر الاساس لدور الاشخاص في التاريخ . ان هنالك بالطبع اسبابا موضوعية عميقة خلقت دور هتلر الاتوقراطي ، ولكن لا يستطيع احد اليوم انكــار الدور التاريخي الضخم الذي لعبه هتلر الا متحذلقـــــي «القدرية» ذوي الفكاهة الغبية . ان وصول لينين الـــى بتروغراد في اليوم الثالث من نيسان ١٩١٧ قد قلب الحزب البلشفي في الوقت المناسب ومكّنه من ان يقود الثورة الى النصر . قد يقول حكماؤنا انه لو مات لينين في الخارج في بداية عام ١٩١٧ لقامت ثورة اكتوبر «بنفس الشكل تماما» .

ولكن الامر ليس كذلك . لقد مثّل لينين احد العناصر الحية في العملية التاريخية وجسّد خبرة وفطنة الجزء الاكثر نشاطا من البروليتاريا . ان ظهوره في الوقت المناسب على ساحة الثورة كان ضروريا من اجل تعبئة الطليعة واعطائها فرصة حشد الطبقة العاملة والجماهير الفلاحية . يمكن للقيادة السياسية في اللحظات الحرجة من الانعطافات التاريخية ان تصبح عاملا حاسما بنفس قدر الدور الذي تلعبه القيادة العامة خلال اللحظات الحرجة من الحرب . ليس التاريخ عملية اتوماتيكية ، وإلا لماذا القيادة ؟ لماذا الاحزاب ؟ لماذا البرامج ؟ ولماذا الصراعات النظرية ؟

يتساءل الكاتب كما سمعنا من قبل : «لماذا ، بحق الشيطان ، التفّت الجماهير الثورية ، التي تركت قادتها السابقين ، حول لواء الحزب الشيوعي ؟» ان السؤال مطروح بطريقة خاطئة . اذ ليس صحيحا ان الجماهير الثورية قد تركت كل قادتها السابقين . ان العمال الذين كانوا مرتبطين سابقا بتنظيمات معينة قد استمروا في الالتصاق بها بينما هم كانوا يلاحظون ويفحصون. والعمال بشكل عام لا يدخلون بسهولة في قطيعة مع الاحزاب التي ايقظتهم على الحياة الواعية . واكثر من ذلك فان وجود حماية متبادلة ضمن «الجبهة الشعبية» قد اخلدهم الى السكينة : بما ان الكل موافق ، فان كل شيء على ما يرام . استدارت الجماهير الجديدة والطازجة بشكل طبيعي نحو الكومنترن بوصفه الحزب الذي انجز الثورة البروليتارية المنتصرة الوحيدة والذي كان قادرا على تأمين الاسلحة لاسبانيا ، كما كان

يؤمل . وأكثر من ذلك فان الكومنترن كان البطل الاكثر حماسا لفكرة «الجبهة الشعبية» ، وقد عمل ذلك على بث الثقة بين الشرائح غير المجربة من العمال . ضمن الجبهة الشعبية كان الكومنترن البطل الاكثر حماسا للطابع البرجوازي للثورة ؛ وقد عمل ذلك على بث الثقة في البرجوازية الصغيرة ، وجزئيا المتوسطة . هذا هو السبب في ان الجماهير «التفَّت حول لواء الحزب الشيوعي» .

يرسم كاتبنا المسألة وكأن البروليتاريا في مخزن احذية جيد الترتيب تنتقي منه زوجا من الاحذية . وحتى هذه العملية السهلة ، كما هو معروف جيدا ، لا تكلل دائما بالنجاح . وبما يختص بقيادة جديدة ، فان الاختيار محدود جدا . اذ لا يمكن اقناع الشرائح العريضة من الجماهير بأن القيادة الجديدة هي اكثر ثباتا واكثر مدعاة للثقة واكثر ولاءاً من القديمة الا تدريجيا وعلى اساس تجربتها ذاتها عبر مراحل متعددة . من المؤكد انه يمكن لحزب ضعيف ، اثناء الثورة ، اي عندما تتوالى الاحداث تباعا ، ان ينمو بسرعة الى حزب قوي شرط أن يفهم بجلاء مجرى الثورة وأن يمتلك كوادر صلبة لا تفقد وعيها بالجمل ولا تخاف الملاحقات . ولكن هكذا حزب يجب ان يكون متوفرا قبل الثورة طالما ان عملية تثقيف الكوادر يتطلب فترة من الزمن لا بأس بها وان الثورة لا تعطي مثل هذه الفترة .

على يسار كل الاحزاب الاخرى في اسبانيا ، وقف الحزب العمالي للوحدة الماركسية الذي ضم دون شك عناصر بروليتارية ثورية لم تكن وثيقة الصلة بالفوضوية

سابقا. ولكن هذا الحزب بالضبط هو الذي لعب دورا مميتا في تطور الثورة الاسبانية . ولم يستطع ان يصبح حزبا جماهيريا لانه من اجل ذلك كان من الضروري اولا الاطاحة بالاحزاب القديمة ولم يكن ذلك ممكنا الا بنضال لا يعرف المصالحة وبفضح لا يرحم لطابعها البرجوازي . اذ انه بالرغم من نقد الحزب العمالي للاحزاب القديمة الا أنه ألحق نفسه بها بما يختص بالمسائل الاساسية: شارك في كتلة «الشعب» الانتخابية ، ودخل الحكومة التي صفت لجان العمال وانهمك في صراع لاعادة تشكيل هذا الائتلاف الحكومي ؛ واستسلم مرة تلو المرة للقيادة الفوضوية ، وقاد بالارتباط معها سياسة نقابية خاطئة ، واتخذ موقفا متذبذبا غير ثوري من انتفاضة ايار ١٩٣٧ . من وجهة نظر الحتمية بشكل عام يمكن طبعا القول ان سياسة الحزب العمالي للوحدة الماركسية لم تكن عرضية . كل شيء في هذا العالم له سببه . ومهما يكن من امر، فليست سلسلة الاسباب في تولد «وسطية»★ الحزب العمالي للوحدة الماركسية مجرد انعكاس لوضع البروليتاريا الاسبانية او الكتالونية ، بأي شكل كان . تحركت علّتان باتجاه احداهما الاخرى بزاوية ، وبلحظة معينة دخلتا في صدام عدائي . يمكن ان نفسر سياسيا ونفسيا (عن طريق الاخذ بالحسبان التجربة الامية السابقة وتأثير موسكو وتأثير عدد من الهزائم .. الخ) لماذا تمخض

★ Centrism .

الحزب العمالي للوحدة الماركسية عن حزب وسطي . ولكن ذلك لا يغير من طابعه الوسطي ولا يغير من حقيقة ان الحزب الوسطي يعمل دون أنقطاع ككابح دون الثورة ، ويجب ان يسحق في كل مرة رأسه ذاته ، وانه قد يتسبب في انهيار الثورة . كما انه لا يغير من حقيقة ان الجماهير الكتالونية كانت اكثر ثورية بكثير من الحزب العمالي للوحدة الماركسية الذي كان بدوره اكثر ثورية من قيادته . ان وضع المسؤولية عن السياسات الخاطئة على عاتق «عدم نضج الجماهير» في هذه الظروف يعني الدخول في شعوذة خالصة غالبا ما يعود اليها الدجالون السياسيون .

يتبدّى التزوير التاريخي فيما يلي : ان مسؤولية هزيمة الجماهير الاسبانية تقع على عاتق الجماهير العاملة وليس تلك الاحزاب التي شلّت ، او ببساطة سحقت ، الحركة الثورية للجماهير. ينكر وكلاء الحزب العمالي للوحدة الماركسية ببساطة مسؤولية القادة من اجل ان يتنصلوا من تحمل مسؤوليتهم هم . أن هذه الفلسفة العاجزة ، التي تسعى لان تصالح الهزائم كحلقة ضرورية في سلسلة التطورات الكونية، غير قادرة على الاطلاق على طرح (وترفض ان تطرح) مسألة تلك العوامل الملموسة كالبرامج والاحزاب والاشخاص الذين كانوا وراء الهزيمة . ان فلسفة القدرية والانبطاح هذه تتعارض على خط مستقيم مع الماركسية كنظرية للعمل الثوري .

ان الحرب الاهلية عملية تحل فيها المهام السياسية بالوسائل العسكرية . ولو كان ما تسفر عنه هذه الحرب

يحدد بـ «وضع القوى الطبقية» لما كانت الحرب نفسها ضرورية . آن للحرب تنظيمها الخاص ، سياستها الخاصة، وسائلها الخاصة ، قيادتها الخاصة ، التي بواسطتها يحدد مصيرها مباشرة . وبالطبع فان «وضع القوى الطبقية» يوفر الاساس لكل العوامل السياسية الاخرى ؛ ولكن بالضبط كما ان اساس بناية لا يقلل من اهمية الجدرأن والنوافذ والابواب والسطوح ، كذلك لا يبطل «وضع الطبقات» اهمية الاحزاب واستراتيجيتها وقيادتها . بإذابتهم للملموس في المجرد ، توقف حكماؤنا حقا في منتصف الطريق . كان يمكن ان يكون الحل الاكثر «عمقا» للمسألة هو عن طريق اعلان ان هزيمة البروليتاريا الاسبانية تعزى الى التطور غير الكافي للقوى الانتاجية . ان هكذا مفتاح ، يمكن لاي أحمق ان يصل اليه.

بتقليصهم الى الصفر اهمية الحزب والقيادة ، ينكر هؤلاء الحكماء بشكل عام امكانية الانتصار الثوري ، لانه ليس هناك من ارضية لتوقع ظروف اكثر ملاءمة . لقد كفّت الرأسمالية عن التقدم ، ولا تنمو البروليتاريا عدديا ، وعلى العكس فان جيش العاطلين عن العمل هو الذي ينمو ، الامر الذي من شأنه تقليص ، وليس زيادة ، القوة القتالية للبروليتاريا وله اثر سلبي ايضا على وعيها . وبالمثل ، ليس هناك من أرضية للاعتقاد بأن الفلاحين قادرون على الوصول الى وعي ثوري أرقى في ظل نظام الراسمالية . وهكذا يكون الاستنتاج الذي يتوصل اليه تحليل كاتبنا هو تشاؤمية كاملة ، وتملص من المنظورات الثورية . يجب ان يقال ـ لانصافهم ـ انهم انفسهم لا يفهمون ما يقولون .

وفي واقع الامر ، فان المطالب التي يضعونها على وعي الجماهير وهمية تماما . لقد اعطى العمال الاسبان ، ومثلهم الفلاحون الاسبان ، أقصى ما تستطيع هذه الطبقات اعطاءه في وضع ثوري . اننا نضع في ذهننا ، بالضبط طبقة من الملايين وعشرات الملايين .

تمثل (ما العمل ؟) مجرد واحدة من تلك المعابد او الكنائس او المدارس الصغيرة التي ، بينما هي ترتعد خوفا من مجرى النضال وهجمة الرجعية ، تصدر جرائدها الصغيرة ودراساتها النظرية في زاوية ، وعلى الهوامش بعيدا عن التطورات الفعلية للفكر الثوري ، ناهيك عن حركة الجماهير .

لقد وقعت البروليتاريا الاسبانية ضحية ائتلاف مكون من الامبرياليين ، والاشتراكيين والفوضويين والستاليين والجمهوريين الاسبان ، والحزب العمالي للوحدة الماركسية على الجناح الايسر . انهم جميعا شلوا الثورة الاشتراكية التي بدأت البروليتاريا الاسبانية بتحقيقها فعلا . ليس من السهل التخلص من الثورة الاشتراكية . ولم يبتكر احد بعد وسائل أخرى لذلك عدا عن القمع الوحشي وتقتيل الطليعة واعدام القادة . . . الخ . لم يشأ الحزب العمالي للوحدة الماركسية ذلك طبعا . انما اراد ، من ناحية ، ان يشارك في الحكومة الجمهورية وأن يدخل كمعارضة محبة للسلام مخلصة ، في الكتلة العامة للاحزاب الحاكمة ؛ ومن ناحية اخرى ان ينجز علاقات رفاقية سلمية في الوقت الذي كانت تدور فيه حرب اهلية ضروس . لهذا السبب بالذات وقع الحزب

العمالي للوحدة الماركسية ضحية لتناقضات سياستـــــه نفسها . كانت السياسة الاكثر انسجاما في الكتلة الحاكمة متبعة من قبل الستالينيين . لقد كانوا الطليعة المقاتلة في الثورة المضادة ، اي الجمهورية البرجوازية . وارادوا ان يجتثوا الحاجة الى الفاشية ببرهنتهم للبرجوازية الاسبانية والعالمية على انهم انفسهـــــم قادرون على خنق الثـــورة البروليتارية تحت شعار «الديمقراطية» . لقد كان هذا هو فحوى سياساتهم . ان مفلسي الجبهة الشعبية الاسبانية يحاولون اليوم ان يلقوا باللوم على المخابرات الستالينيـــــة (ج.بي.يو) . انني على ثقة بأنه لا يمكـــن الاشتباه بنـــا كمتساهلين نحو جرائم المخابرات الستالينية . ولكننا نرى بوضوح ، ونخبر العمال ، ان المخابرات الستالينية عملت في هذه اللحظة كمجرد الفصيلة الاكثر تصميما فيخدمة الجبهة الشعبية . هنا تكمن قوة المخابرات الستالينية وهنا يكمن الدور التاريخي لستالين. لا يستطيع الا المخابراتالستالينية الجاهلة تنحية هذا جانبا بفكاهات صغيرة حمقاء عـــــن **الشيطان الرئيسي** .

لا يضير هؤلاء السادة مسألة الطابع الاشتراكي للثورة. لقد أعلن أتباع موسكو (لصالح انجلترة وفرنسا) الثـــورة الاسبانية ثورة برجوازية . فوق هـــذا الاساس ، قامت السياسات القاصرة للجبهة الشعبية ، السياسات التي كانت ستكون خاطئة تماما حتى لو كانتالثورة الاسبانية برجوازية بالفعل . ولكن الثورة عبرت ومنـــذ البدء عن طابعهـــا البروليتاري بشكل اكثر وضوحا بكثير من ثورة سنة ١٩١٧

في روسيا . في قيادة الحزب العمالي للوحدة الماركسية يجلس اليوم سادة يعتبرون ان سياسة **اندريس نين** كانت «يسارية» جدا ، وان الشيء الصحيح حقا كان البقاء كجناح يساري للجبهة الشعبية . يكتب فكتور سيرج ، الذي هو في عجلة للحط من قدر نفسه بميل طائش نحو المسائل الجدية ، ان **نين** لم يرغب في الخضوع لاوامر **أوسلو** او **كيوكان** . هل يكون رجل جدي قادرا فعلا على تقليص مسألة المحتوى الطبقي للثورة الى ثرثرة صغيرة ؟ **لا يملك حكماء (ما العمل ؟) اي جواب** مهما كان عن هذا السؤال . انهم لا يفهمون السؤال نفسه . ما هي بالفعل اهمية حقيقة ان البروليتاريا «غير الناضجة» أسست اجهزتها الخاصة للسلطة ، واستولت على المشاريع وسعت الى تنظيم الانتاج بينما حاول الحزب العمالي للوحدة الماركسية بكل قوته ان يتجنب القطيعة مع الفوضويين البرجوازيين الذين (بالتحالف مع الجمهوريين والبرجوازيين والاشتراكيين والستالينيين الذين هم ليسوا أقل برجوازية) هاجموا الثورة البروليتارية وخنقوها ! من الواضح ان هذه «التوافه» لا تثير الا اهتمام ممثلي «الارثوذكسية المتحجرة» . بينما يمتلك **حكماء (ما العمل ؟)** في المقابل جهازا خاصا يقيس نضج البروليتاريا وعلاقة القوى بشكل مستقل عن **مسائل الاستراتيجية** الطبقية الثورية .

الفهرست

صدر عن دار الطليعة

كارل ماركس : تاريخ حياته ونضاله
فرانز مهرنغ
على خطى كارل ماركس
ترو ونغ شينه
مراسلات ماركس ـ انغلز
ستالين : سيرة سياسية (طبعة ثانية)
اسحق دويتشر
التصور المادي للنظرية الماركسية
كارل كورش
ماركسية تروتسكي
مانديل ، كراشو ، ...
ماركسية ماوتسي تونغ
شرام ، غارودي ، ...

النجم الاحمر فوق الصين: المراحل الاولى من الثورة الصينية
ادغار سنو
الثورة الثقافية البروليتارية في الصين
جان دوبيه
نصوص حول الثورة الدائمة
ماركس ، انغلز ، لينين ، تروتسكي
حول الحزب اللينيني
ارنست مانديل
البؤرة الثورية والحزب الثوري
(مناقشات حول موضوعات ريجيس دوبريه)
القيام بالثورة واجب كل ثوري
(أطروحات الثوريين الكوبيين لمؤتمر هافانا)
الثورة الالمانية ١٩١٨ ــ ١٩١٩
الغفيف الاخضر
الثورة المسلحة في فنزويلا
دوغلاس برافو
دراسة عن الوضع الثوري في العالم
ارنستو تشي غيفارا
غيفارا : سيرته وكتاباته الاخيرة
ارنستو تشي غيفارا
غيفارا : حياة صديق وموته
ريكاردو روخو

الفلاحون والثورة (طبعة ثانية)
حمزة علوي

لينين : مختارات جديدة

نصوص حول المسألة اليهودية
نصوص حول الوطن والوطنية
نصوص حول المسألة القومية
نصوص حول المسائل العسكرية
نصوص حول الموقف من الدين
البرنامج الزراعي للاشتراكية الديمقراطية
في الثورة الروسية الاولى

تاريخ الاممية الشيوعية

المؤتمر الاول لشعوب الشرق باكو : ١٩٢٠
بيانات وموضوعات ومقررات الاممية الشيوعية
ـ المؤتمران الاول والثاني : ١٩١٩ ـ ١٩٢٠
(النصوص الكاملة)
ـ المؤتمران الثالث والرابع : ١٩٢١ ـ ١٩٢٣
(النصوص الكاملة)

بيروت ـ ص‌ب ۱۱۱۸۱۳

الطبعة الاولى

ايار (مايو) ١٩٧٤

هذا الكتاب

أهمية هذا الكتاب تكمن في أن مقالاته الاربعة تلقي مزيداً من الضوء حول مسـألة هي من اهم المسائل التي تواجـه الحركة الثورية العربية وتحتل المقـام الاول في الحوار الدائر ، المتسع يوماً بعد يوم ، في صفوف الثوريين العرب ؛ الا وهي مسـألة التنظيم الثوري : علاقته بالطبقـة ، بنيته الداخليـة ، دوره التاريخي ، امكانية وكيفية بنائه ، الوعي والعفوية ... واكثر من ذلك ، فأن هذه المقـالات تحاول ، الانطلاق في معالجـة المسألة المطروحة بعيداً عن الوصفات الجاهزة والأحكام المسبقة المنزلة من آلهة الثورة والتنظيم ، ضمن اطـار المنهج الماركسي النقدي الثوري .

الثمن : ٢٣٥ ق. ل.
٣٥٠ ق. س.

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت